التَّفسيرُ العِلميُّ للقرآن
قراءةٌ في حُجَجِ المُؤَيِّدينَ والمُعارِضين

م.د يسرى جلوب مدلول

كلية العلوم الاسلامية /جامعة بغداد

المُلَخَّص

لقد أثَّر التَّطورُ العِلميّ في فِكرِ الإنسان، وخلخلَ الكثيرَ مِن ثوابتِه، وهزَّ أركانَ اليقين لدَيه، وعلى رأسِها الدِّين والكُتُبُ السَّماويَّة، ومِن ضمنها القرآن الكريم.على إثْرِ ذلك، شاعَ في هذا العصر التَّفسيرُ العِلميُّ للقرآنَ الكريم، وقد انقسمَ العُلماءُ إزاءه على فريقَين: فريقٌ أنكرَ هذا التَّفسير وفريقٌ أثبته ودافع عنه، وكان لِكُلِّ فريقٍ مِنهما مُبرّراته وحُجَجُه؛ فجاء هذا البحثُ لينظرَ في حُجَجِ الفريقَين ومِن ثَمَّ الموازنة والتَّرجيح بينهما.

الكلمات المفتاحيَّة القرآن، التَّفسير، الإعجاز، العِلم، الرّافضون، المؤيّدون.

المُقدِّمة

الحمدُ لله الفردِ الصَّمَد، الّذي لا شريك له ولا وَلَد، رافعُ السَّماءِ بِلا عَمَد، عمَّت آلاؤه الآفاق، وأرانا آياتِه في أنفسِنا وفي الآفاق، فتبيَّن لنا الحَقُّ واتَّبعناه، والصَّلاةُ والسَّلام على مَن كانَ جبريلُ صاحبه، وأودعه كتابًا لا تنقضي عجائبُه؛ مُحمَّدٍ الأمين، المبعوث رحمةً للعالَمين، وعلى الآلِ الطَّيبين والصَّحبِ المُنتَجَبين، وبعد.فقدَ شهدَ هذا العصر تطوّرًا عِلميًّا لم يكُن مَشهودًا مِن قَبل، رافقه في بيئةِ انبثاقِهِ –أوروبا– صراعًا كبيرًا بين مؤسّساتِ الدِّينِ والعِلمِ ورجالاتهما، أفضى هذا الصِّراعُ إلى وجودِ حالةٍ مِن التَّضادِّ والتّنافرِ بين الدِّين والعِلم، وتعرَّضت الكتب السَّماويَّة لاختبارٍ جديدٍ لم تعهده مِن قبل؛ تمثَّلَ بمُحاكتِها بموجَبِ مُقرّراتِ العِلم.وما لبث هذا الصّراعُ أنْ انتقل إلى العالَمِ الإسلاميّ، سواءٌ عن طريقِ المُستشرقين أو عن طريقِ بعضِ المُسلمين المنبهرين بالحضارةِ الغربيَّةِ المادّيَّة، فراحوا يُقلّدونهم في طرحِ الإشكالِ على القرآنِ الكريم والتَّشكيكِ فيه بدعوى مُخالفتِهِ للعلومِ المُستحدَثة؛ الأمرُ الّذي دفعَ جُملةً مِن عُلماءِ الإسلامِ الغَيارى إلى ردّ الشُّبُهاتِ ودحضِها بوساطةِ العِلمِ ذاتِه، فتأسَّسَ ما يُعرَفُ اليوم التَّفسيرُ العِلميّ للقرآن، وموضوعه هو إثباتُ الإعجاز في القُرآنِ ببيانِ عدمِ التَّعارض بين ما جاء فيه مِن إشاراتٍ عِلميَّةٍ وبين الحقائقِ العِلميَّة الثّابتة.ومثلُ أيِّ عِلمٍ مُستحدَث، شابَ التَّفسيرَ العِلميّ بعضَ الأخطاءِ والانحرافات، بسببِ الحماسةِ والاندفاع غيرِ المُنضبطَين، ما جعله عرضةً للنَّقدِ اللّاذع الّذي وصلَ حدَّ الرَّفضِ والإنكار، فجوبِهَ هذا الإنكارُ بجُملةٍ مِن الرّدودِ المُثبّتة لهذا اللّون مِن التَّفسير، والمُفَنِّدة لحُجَجِ الخصوم وبيان مواطن الخطأ فيها.فشكَّلت تلك الانتقادات وهذه الرّدود سببًا مُهمًّا وحافزًا كبيرًا لقيام هذه الدّراسة؛ لأعرضَ بها آراءَ الفريقَين بتجرّدٍ تام، ثُمَّ تقديم قراءتي الخاصّة لتلك الحُجَج، فأدحضُ بعضَها وأساندُ أخرى، بناءً على ما يدعمُ الحُجَّةَ مِن دليلٍ عقليٍ أو نقليّ.وبذلك قسّمتُ البحثَ على تمهيدٍ ومبحثَين، تسبقهما هذه المُقدِّمَة وتليهما خاتمةٌ توجِزُ البحثَ وتُسجِّلُ أهمَّ النَّتائجَ الّتي سيتوصَّلُ إلَيها.فكان التَّمهيدُ بعنوان: (التَّفسير العِلميّ: تعريفه، والفرق بينه وبين الإعجاز العِلميّ، وتاريخه)، تناولتُ فيه تعريف المصطلحات الّتي تُشَكِّلُ عِماد البحث في اللّغةِ والاصطلاح، مثل: (التَّفسير، المُعجزة، العِلم، التَّفسير العِلميّ، الإعجاز العِلميّ)، ومِن تعريفات التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ بيَّنتُ الفروق بينهما، ثُمَّ استعرضتُ بإيجازٍ شديدٍ تاريخ التَّفسيرِ العِلميّ بوصفه مُصطلحًا حادثًا في العصرِ الحديث، أو العمل بمضمونِه ومنهجِه قديمًا، وإنْ لم يحمل التسميَةَ ذاتَها.أمّا المبحثُ الأوَّل فكان بعنوان: (آراءُ العُلَماءِ والباحثِينَ فِي التَّفسيرِ العِلميّ) وقسّمتُه على مطلبَين، خصَّصتُ الأوَّلَ مِنهما لدراسة آراءِ الرّافضين، فجاء بعنوان: (آراءُ المُعارضين للتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم)، وقد توزّعوا بدورهم على فِئَتَين: فئةُ المُعَطِّلين الّذين رفضوا التَّفسير العِلميّ ومسألة الإعجاز معًا، وفئة المُحترزين الّذين أثبتوا الإعجازَ ورفضوا التَّفسير بدعوى الاحتراز. وخصَّصتُ المطلبَ الآخَرَ لدراسة آراءِ المُوافقين، فجاء بعنوان: (آراءُ المؤيّدين للتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم)، وهؤلاء توزَّعوا على فئتَين أيضًا: فئةُ المُوَسّعين الّذين أطلقوا العنان لأنفسهم بتطبيقِ هذا المنهج، وفئة المُعتدلين الّذين أفادوا مِن أخطاءِ هؤلاء ومِن انتقادات المُعترضين، فوضعوا ضوابط وقواعد تحكمُ عملَ المُفَسِّر وتشترطُ توافر الأهليَّةَ فيه.وجاء المبحثُ الثّاني بعنوان: (ترجيحُ الحُجَجِ والآراءِ، وضوابطُ التَّفسير)، وقسمتّه على مطلبَين أيضًا، جاء الأوَّلُ بعنوان: (مُناقشةُ الآراءِ والتَّرجيحُ بينها)، ناقشتُ فيه حُجَجَ المُعارضين، فدحضتُ مِنها ما لم يستندُ إلى دليلٍ مُقنع، وأيّدتُ بعضَها على أنْ تكونَ مِن ضوابطِ التَّفسيرِ لا مِن أسبابِ رفضِه، وقد ذكرتُ الرّدودَ فقط ولم أذكر الحُجَج؛ تلافيًا للتَّكرار، ودفعًا للإطالة، فقد تمَّ ذِكرُها في المبحث السّابق. وبوحيٍ مِن انتقاداتِ المُعترضين، وبسببِ أخطاءِ المُوسّعين انبرى المُعتدِلون لوضعِ ضوابط وقواعد عِلميَّةٍ ومنهجيَّة؛ تضبط مسارَ التَّفسير، وتُحدِّدُ مواصفاتِ المُفَسِّر، فكانت تلك الضّوابطُ مادَّةَ المطلب الثّاني الّذي جاء بعنوان: (ضوابِطُ التَّفسيرِ العِلمِيّ). وانتهى البحثُ بالخاتمةِ وثبَتِ المَصادر الّتي استعنتُ بها.وفي الختام، أحمَدُ اللهَ آخِرًا كما حمدتُهُ أوَّلًا، هو وَلِيّي في الدُّنيا والآخرة، عليه أتوكّلُ وبِهِ أستعين.

التمهيد التَّفسير العِلميّ: تعريفه، والفرق بينه وبين الإعجاز العِلميّ، وتاريخه

أوّلًا: تعريفُ التَّفسير العِلميّ:ارتبط موضوع التَّفسير العِلميّ بموضوع الإعجاز العِلميّ ارتباطًا وثيقًا، حتى خلط بعضُ الباحثين بينهما وجعلهما بمعنىً واحد[١]؛ لذا سأشرع بتعريف التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ في اللّغة والاصطلاح؛ لأستخلص مِن تلك التَّعريفات الفرق بينهما.

التَّفسير لغةً: مأخوذٌ مِن الفِسْر، وهو الإبانةُ والكشف[٢]؛ أي كشف المُغلقِ مِن المُراد بلفظِهِ المُشْكِل، وإظهارٌ للمعنى المُحتَبِس عن الفَهم[٣].

التَّفسير اصطلاحًا: للتفسير في الاصطلاح تفسيراتٌ مُتعدِّدةٌ ومُختلفة باختلاف الموضوعات الّتي يتناولها المُفَسِّرُ في تفسيره؛ فقد عرَّفه الزَّركشي بأنَّه: "علمٌ يُفهَمُ به كتاب الله المُنزَل على نبيه محمد (ﷺ)، وبيان معانيه واستخراج أحكامِه وحِكَمِه"[٤]. وهو التَّعريفُ الّذي تُرَجِّحُه الباحثة. وعرَّفه السّيوطيّ بأنَّه: "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثُمَّ ترتيب مكّيّها ومدنيّها ومُتشابهها وناسخها ومَنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومُطلَقها، ومُجمَلها ومُفَصَّلها، وحلالِها وحرامِها، ووَعْدِها ووَعيدِها، وأمرِها ونهيِها، وعِبَرِها وأمثالِها"[٥].وعرَّفه أبو حيّان بأنَّه: "علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيَّة النّطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديَّة والتّركيبيَّة، ومعانيها التي تحملُ عليها حالة التَّركيب، وتَتمّات لذلك"[٦].والمُلاحظ مِن هذه التَّعريفات أنَّها تتَّفقُ على أنَّ التَّفسير (علمٌ) له قواعده وأصوله التي ينبغي على المُفَسِّر الإلمامُ بها والسَّير بهديها ليكتشف المُراد من آيات الله تعالى بقدر فهمه ومعرفته البشرية القاصرة بعد التقيّد بتلك القواعد العلميَّة.هذه التَّعريفات شاملةٌ لأنواع التَّفسير كُلِّها، سواءٌ تلك التي تُعنى بلغة القرآن وبلاغته، أو تلك التي تُعنى بأحكامِه وحِكَمِه وأخبارِه وقصصِه، وتشملُ حتى التَّفسير العِلميّ الّذي نحن بصدده.أمّا تعريفُ التَّفسير العِلميّ، فقد تباينَت الآراءُ حولَ التَّفسير العلميّ منذ ظهوره في القرن الرّابع عشر بين مؤيدٍ له ومُعارض، وتبعًا لذلك عُرِّفَ بتعريفاتٍ كثيرةٍ لم تسلم مِن الملاحظة والنَّقد[٧]، فقد عرَّفه الدكتور زغلول النَّجّار بأنَّه: "توظيفُ كُلِّ المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنيَّة، وهذه المعارف قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضًا ونظريّات"[٨].ويؤخَذ على هذا التَّعريف تجويزه الاستعانة بالفروضِ والنَّظريّات في تفسير كلام الله، والصّحيح هو الاعتمادُ على المعارف الّتي تجاوزت هاتَين المَرحَلَتَين ووصلت إلى مرحلةِ الحقيقة العِلميّة.ومِن التَّعريفات المهمّة الّتي ربطت بين التَّفسير والإعجاز تعريف الدكتور فهد الرومي الّذي عرَّف التَّفسير العِلميّ بأنَّه: "اجتهادُ المُفَسِر في كشف الصّلة بين آيات القرآن الكريم الكونيَّة ومُكتشفات العلم التجريبي على وجهٍ يظهر به إعجاز للقرآن يدلُّ على مصدره وصلاحيَّته لِكُلِّ زمانٍ ومكان"[٩].أمّا التَّعريفُ الّذي تُرجّحُه الباحثةُ وتتبنّاه فهو تعريف الشّيخ عبد المجيد الزّنداني، الّذي عرَّفَ التَّفسير العِلميّ بأنَّه: "الكشفُ عن معاني الآية أو الحديث في ضوءِ ما ترجَّحَت صحّتُه مِن نظريّات العلوم الكونيَّة"[١٠].وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المقصود بكلمة (العِلميّ) هنا، العِلمُ التَّجريبيّ الّذي ساد في عصر النَّهضة الحديثة، وهذا لا ينفي صفة العِلميَّة عن باقي أنواع التَّفسير والعلوم الّتي تتناولها، وإنَّما اختصَّ هذا النّوع مِن التَّفسير بهذا الاسم نتيجة التَّطور الدّلاليّ الّذي طرأ على كلمة (عِلم) وارتباط تلك الدّلالة بالعِلم التَّجريبيّ حصرًا؛ حتّى صار هذا المُرَكَّبُ الوَصفيّ عَلَمًا لهذا النَّوع مِن التَّفسير، تنصرفُ الأذهانُ إليه متى ما أُطلِقَ هذا التَّركيب.

أمّا تعريفُ الإعجاز في اللّغةِ والاصطلاح فهو كالآتي:

الإعجاز لغةً: مأخوذٌ مِن العَجْز، وهو مصدرٌ للفعل الثُّلاثيّ "عَجَزَ"، والعَجْزُ نقيضُ الحَزمِ، وأصلُهُ التَّأخّرُ عن الشَّيء؛ يُقال: عَجَزَ عن الشَّيء يَعْجِزُ عَجْزًا فهو عاجِزٌ، أي: ضَعُفَ ولم يَقْدِر عليه. أمّا الإعجازُ فهو مصدر الفعل الرُّباعيّ "أعجَزَ"، والإعجازُ هو الفوتُ والسَّبق؛ يُقال: أعْجَزَني فلانٌ، أي: فاتني وسبَقَني، وعَجَزْتُ عن طَلَبِهِ وإدراكِه، ومِنه اشتُقَّت كلمةُ "مُعجِزة"؛ يُقال: أعْجَزَ يُعْجِزُ إعجازًا فهو مُعْجِزٌ، والمُعْجِزةُ واحدةُ مُعْجِزاتُ الأنبياءِ عليهم السَّلام[١١]؛ وهي: "أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتَّحدي، سالِمٌ عن المُعارَضة، وهي إمّا حِسّيَّةٌ وإمّا عَقليَّة"[١٢].

أي إنَّ المعاجم العربيَّة تكاد تجمِع على أنَّ مِن بين المعاني اللّغويَّة لكلمة "إعجاز": السَّبقُ، والضَّعف؛ وكلاهما ينطبقان على المعنى المُراد مِن التَّركيب الوصفي "الإعجازُ العِلميّ" في القرآن؛ فالقرآنُ الكريم سبقَ الجميع بالكثير مِن الإشارات العِلميَّة بقرونٍ عديدة، علومٌ يضعف كلُّ البشرِ ويعجزون عن معرفتِها في حينِها، الأمر الّذي يؤكِّدُ المصدر الرَّباني لهذا الكتاب العظيم.

الإعجاز العلمي اصطلاحًا: عُرِّفَ الإعجازُ العِلميّ بتعريفاتٍ كثيرة وبتعبيراتٍ مُتباينة لم تسلم مِن النَّقد والمُلاحظة[١٣]، ولا عجب في هذا التَّعدُّد والتَّباين؛ فالمُصطلح حديثٌ لم يستقر بعد.فقد عرَّفه الشّيخ عبد المجيد الزّنداني بأنَّه: "إخبار القرآن الكريم أو السُّنَّة النَّبويَّة بحقيقةٍ أثبتها العِلمُ التَّجريبيّ وثبتَ عدمُ إمكانيَّة إدراكِها بالوسائل البشريَّة في زمن الرَّسول (ﷺ)، وهذا مِمّا يُظهِر صدقَ الرَّسولِ محمّد (ﷺ) فيما أخبرَ به عن رَبِّهِ سبحانه"[١٤].وعرَّفه الدّكتور زغلول النَّجّار بأنَّه: "إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارةِ إلى حقيقةٍ مِن حقائقِ الكون أو تفسير ظاهرةٍ مِن ظواهرِهِ قبل وصول العِلم المُكتسَب إليها بعددٍ مُتطاولٍ مِن القرون"[١٥].وبعد النَّظر والتَّدقيق، ترى الباحثة أنَّ هذين التَّعريفَين هما أفضل هذه التَّعريفات وأجودها.

ثانيًا: الفرقُ بين التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ

يخلطُ الكثيرُ مِن الباحثين بين مُصطلَحَي التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ على الرَّغمِ مِن الفرقِ الكبير بين المفهومَين، ولكنَّ هذا الفرق لا يعني الافتراق والتَّباين التّام بينهما، بل هما مُتداخلان مُتشابكان يعتمدُ كُلٌّ مِنهما على الآخَر.لقد سبقَ أنْ رجَّحت الباحثةُ تعريف التَّفسير العِلميّ

بأنَّه: "الكشفُ عن معاني الآية أو الحديث في ضوءِ ما ترجَّحَت صحّتُه مِن نظريّات العلوم الكونيَّة"[١٦]. في حين اعتمدَتْ تعريفَ الإعجاز العِلميّ بأنَّه: "إخبار القرآن الكريم أو السُّنَّة النَّبويَّة بحقيقةٍ أثبتها العِلمُ التَّجريبيّ وثبتَ عدمُ إمكانيَّة إدراكِها بالوسائل البشريَّة في زمن الرَّسول (ﷺ)"[١٧].وبالنَّظر إلى هذَين التَّعريفَين يُمكن استخلاص الفروق وبيان العَلاقة بين التَّفسير العِلميّ للقرآن والإعجاز العِلميّ في القرآن، وإيجازها بالآتي:

١- الإعجاز العِلميّ إخبار عن أمورٍ عِلميَّة اكتشفها العلمُ الحديثُ وأكّدها، والتَّفسير العِلميّ بيانٌ وتوضيحٌ لتلك الأخبار؛ فإذا استعرنا عناصر البحث العِلميّ المعروفة: (المنهج، الموضوع، الباحث)، فإنَّ التَّفسير العِلميّ هو (المنهج)، والإعجاز العِلميّ هو (الموضوع)، أي إنَّ التَّفسير العِلميّ أداةٌ بحثية مهمة لدراسة ظاهرة الإعجاز العِلميّ في القرآن، وهذا الأخير هو ثمرةُ التَّفسير العِلميّ وغايته الّتي يسعى للوصول إليها، والمُفَسِّرُ هو الّذي يُحدِّد العَلاقة بينهما.

٢- التَّفسير العِلميّ جهدٌ بشري، والإعجاز العِلميّ عِلمٌ إلهي أودعه الله سبحانه في كتابه الكريم.

٣- لَمّا كان التَّفسير العِلميّ للقرآن جُهدًا بشريًا صار عرضةً للصواب والخطأ، وهذا ما لا يكون في الإعجاز العِلميّ؛ لأنَّه مِن عِلمِ الله سبحانه وعِلمِه، وإنْ وُجِدَ فيه الخطأ فإنَّه –بلا شك– نتيجة الرَّبط الخاطئ بين الإشارة العِلميَّة والحقيقة الكونيَّة، أو نتيجة الاعتماد على الفرضيّاتِ والنَّظريَّات غير المُستقرّة، الّتي لم تكتسب بعد صفة الحقيقة العِلميَّة الثابتة.

٤- يجوزُ في التَّفسير العِلميّ الاستعانة بالفروض والنَّظريات الّتي لم تصل إلى مرحلة الحقيقة العِلميَّة، أمّا الإعجاز العِلميّ فيرتكزُ على الحقائق العِلميَّة الثابتة والمستقرَّةِ فقط.

٥- التَّفسير العلميّ قابلٌ للاجتهاد في تحديد دلالة الآية القرآنيَّة، أمّا الإعجاز العِلميّ فيُشترطُ فيه قطعيَّة الدّلالة واستقرارها.

٦- العَلاقة بين التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ علاقة عموم وخصوص، والتَّفسيرُ أعمُّ مِن الإعجاز؛ فكلُّ إعجازٍ عِلميّ أصله تفسيرٌ عِلميّ، ولكنَّ التَّفسير العِلميّ ليس إعجازًا عِلميًا. كما أنَّ بينهما علاقةٌ عكسيَّةٌ مِن حيث الاتجاه؛ فالتَّفسيرُ ينطلقُ مِن العلومِ المكتشفة إلى القرآنِ الكريمِ ليُفَسِّره، أمَا الإعجازُ فيصدرُ عن القرآنِ ليُثبتَ حقيقةً عِلميَّةً مُكتشفةً حديثًا، أو يشيرُ إلى علومٍ بحاجةٍ إلى جهدٍ بشريٍّ لاكتشافها والإفادةِ مِنها.

٧- تختلف علاقةُ العلومِ المُكتشفةِ بكُلٍّ مِن التَّفسير العِلميّ والإعجاز العِلميّ؛ فالعَلاقةُ بين العلوم والتَّفسير العِلميّ علاقة توظيف، في حين أنَّ العَلاقة بين العلوم والإعجاز العِلميّ علاقة تطابق.

ثالثًا: نبذة تاريخيَّة عن التَّفسير العِلميّ

شاع التَّفسير العِلميّ للقرآن وانتشر في القرن الهجريّ الرّابع عشر، بدافعٍ مِن التَّطوّر العِلمي الهائل الّذي شهده هذا العصر حتّى صار سمتَه المُهيمِنة وعلامتَه الفارقة، وما صاحب هذا التَّطور مِن تصادمٍ مع الدِّين، ولا سيما في أوروبا، وانتقال عدوى هذا الصّراع مع الأديان جميعها، ومِنها الإسلام؛ إذ طال التّشكيكُ القرآنَ الكريم، فتصدّى لذلك جملةً مِن العُلماء الغيورين، ليُبَيّنوا أنْ لا تضارب ولا تناقضَ بين العِلمِ والإسلام، بل عكسوا الأمر حين تفحّصوا كتابَ الله فوجدوا أنَّ الكثيرَ مِن مكتشفاتِ العِلم الحديث تتَّفق مع ما وردَ في القرآن قبل أربعة عشر قرنًا، وهذا –بنظرهم– دليلٌ يكشف عن إعجاز القرآن الكريم ويؤكّدُ مصدره الإلهي. ولكنْ بالتَّتبّع التّاريخيّ نجد أنَّ مضامين التَّفسير العِلميّ للقرآن وُجِدَت بوجودِ القرآن نفسه؛ فقد أشار القرآن الكريم في كثيرٍ مِن آياتِه المباركة إلى قضايا تخصُّ الكون، وخلق الإنسان، والنَّبات، والحيوان، وغيرها مِن الإشارات العِلميَّة الّتي كان يجهلها العربُ حينها؛ الأمرُ الّذي استدعى بيانها وشرحها، وكان رسول الله (ﷺ) هو المُفَسِّرُ الأوَّلُ لمثل هذا الآيات، ليُبيِّنَ للنّاس ما استعصى على أفهامِهم، ويُصحِّح تصوّر المسلمين للكونِ والحياة، بعيدًا عن الخرافة والأساطيرِ الّتي ورثوها، وليحثّهم على التَّفكّر في الكون والقرآنِ، ليتعلّموا ما ينفعهم في الدّنيا والآخرة، وسار الصّحابةُ والتّابعون على هذا النَّهج، إذ فهموا مِن قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ**﴾[الأنعام:٣٨]، أنَّ القرآنَ الكريم يحوي جميعَ العلوم. وإذا انتقلنا إلى عصرِ التَّدوين، وتحديدًا عصر استقامة التَّفسير عِلمًا قائمًا بذاته سنجدُ مضمون ما نُسمّيه اليوم تفسيرًا عِلميًا حاضرًا عند جملةٍ مِن المُفسّرين الكِبار؛ إذ خاضوا في تفسير بعضِ آياتِ القرآن بما عرفوه مِن العلومِ الشّائعةِ في عصرهم؛ ويُعدُّ الإمام الغزالي مِن أشهر مُفسري عصره الّذين أشاروا إلى وجود أوائل العلوم في القرآن الكريم، وذلك في كتابَيه: إحياء علو الدِّين، وجواهر القرآن. ويُعَدُّ الإمامُ الرّازيّ أوّل طبَّقَ التَّفسيرَ العِلميّ في تفسيره "مفاتيح الغيب" المعروف باسم "التَّفسير الكبير"، فقد بحثَ فيه الكونيّات على طريقةِ العُلماءِ الطَّبيعيّين؛ ليستدلّ على وحدانيّة الله وتفرّده وبيان عظمته.أمّا الإمامُ السّيوطيّ فقد عقدَ فصلًا في تفسيرِه (الإتقان في علومِ القرآن)، سمّاه: (النّوع الخامس والسّتون في العلومِ المُستنبطَةِ مِن القرآن)، وافق فيه العُلماءَ القائلين باشتمالِ القرآنِ على العلومِ جميعها[١٨].وسنعرضُ في المبحث الثّاني أمثلة مِن اعتماد النَّبي(ﷺ)

المعارفِ العِلميّة في التَّفسير، ونُبَيّنُ موقفَ الصّحابةِ مِن تفسيرِ القرآن الكريم بالاعتمادِ على العلومِ والمعارف. ومِن المُفسّرين والعُلماءِ السّابقين الّذين التزموا التَّفسير العِلميّ قبل القرن الرّابع عشر، العلّامة أبو الثّناء الآلوسيّ في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني"، وحفيدُه: السّيّد محمود شكري الآلوسيّ، في كتابه "ما دلَّ عليه القرآن مِمّا يُعضّدُ الهيأة الجديدةَ القويمة البرهان". وفي القرن الرَّابع عشر، ظهر التَّفسير العِلميّ بالاصطلاح والمفهوم الّذي نفهمه اليوم، وكانت الثورة العِلميَّة والنَّهضة الأوروبيَّة وانتشار علومها وأفكارها هي الدّافع الأول، لقيام هذا النّوع مِن التَّفسير؛ فمِن جهة أفاد العلماء مِن العلوم والنَّظريات الحديثة في اكتشاف بعض معاني القرآن الّتي لم يعرفها أسلافهم، ومِن جهةٍ أخرى اتَّخذوا مِن هذا المنهج وسيلةً للدّفاع عن الإسلام، والقرآن خصوصًا، وبيان عدم تعارضه مع الحقائق الّتي أثبتها العِلم، بل على العكس، فإنَّ القرآن الكريم قد أشار إليها قبل أربعة عشر قرنًا، وهذه الإشارات دليلٌ لا يقبل الشَّك على أنَّ القرآن ليس مُنجزًا بشريًّا؛ بل هو مِن وحي الله تبارك وتعالى. وقد اختصر الدّكتور نعيم الحمصيّ حالة التَّفسير العِلميَّ للقرآن الكريم في هذا القرن، وذَكَر العلماءَ الّذين تناولوا قضيّة الإعجاز العِلميّ فيه، وقسّمهم على قسمَين، فقال: "كَثُرَ المتكلّمون في الإعجاز مِن بداية هذا القرن حتّى اليوم، واختلفت نحلُهم ومستوياتُ تفكيرِهم، ولَمّا كان لا يمكن استيفاء الحديث عنهم جميعًا، فسأقتصر على جماعةٍ مِنهم، وسأجعلُ هذه الجماعة فئتَين:فئةٌ قَصَرَت اهتمامَها على النَّزعة العِلميَّة في الإعجاز... وهم: عبد الله فكري، و د. محمد توفيق صدقي، وطنطاوي جوهري، وعلي فكري، ومحمد أحمد جاد المولى، وعمر الملباريّ، ومحمود مهدي الاستامبوليّ، وموريس بوكاي، والدّكتور محمد رشاد خليفة، ومحمد متولي الشَّعراويّ.وفئةٌ تُمثِّلُ سائر الاتّجاهات في وجوه الإعجاز، وقد يوجد بين أفرادها مَن تحدَّثَ عن النَّزعة العِلميَّة ولكنَّه لم يَقصر عليها كُلَّ اهتمامه... وهم: نعمة النَّخجوانيّ، وأبو الفيض بن المبارك التّاكوريّ، والقاسميّ، والشَّيخ محمد عبده، وعبد الرَّحمن الكواكبيّ، والشَّيخ محمد رشيد رضا، والشَّيخ عبد الله الدهلويّ، والرّافعي، وعبد العليم الهنديّ، وأمين الخوليّ، وسيّد قطب، ومحمد عبد العظيم الزرقانيّ، والأساتيذ الثَّلاثة: حمزة، وعلوان، وبرانق، و د. محمد عبد الله دراز، وأحمد مصطفى المراغيّ، وأبو الحسن الشَّعرانيّ، و د. محمد سعيد رمضان البوطيّ، و د. محمد علي سلطاني"(١٩). وهذه الكثرة الكاثرة في هذا العصر تدلُّ على أنَّ التَّفسير العِلميّ للقرآن صار مَنهجًا مُستقلًا في دراسةِ كتاب الله ومحاولة بيان معانيه والكشف عن كنوزه على وِفق ما استجدَّ مِن معارف ونظريّات تخدمُ هذا الغرض وتفيدُ مِنه في آنٍ واحد، ونتيجةً لذلك شاع هذا المنهج في هذا العصر أكثر مِن أيِّ عصرٍ سابق.

المبحث الأوّل آراءُ العُلماءِ والباحثِينَ فِي التَّفسيرِ العِلميّ

لهذا المنهج –على امتداد تاريخه– أنصار ومعارضون، يصدرون في مواقفهم مِن حُرصٍ على القرآن الكريم،بتنزيهه وحفظ قدسيَّته، أو بإبراز صلاحيَّتِه لِكُلِّ زمانٍ ومكان بما يحويه مِن معارف وعلوم قادرة على خدمة البشريَّة والوصول بها إلى الهداية والكمال والسّعادة في الدّارَين ولِكُلٍّ مِن هذَين الفريقَين حُجَجُه وأدِلَّتُه،وهذا ما سيختصُّ به هذا المبحث،بتقسيمه على مَطلَبَين:يعرضُ المطلبُ الأوَّلُ آراءَ المُعارضين مِن القُدماءِ والمُحدَثين، فيما يختصُّ المطلبُ الثَّاني بعرضِ آراء الموافقين مِن القدماء والمُحدَثين أيضًا.

المطلَبُ الأوَّل: آراءُ المُعارضين للتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم

رفض جماعةٌ مِن العُلماء والباحثين القدماء والمُحدَثين التَّفسيرَ العِلميّ للقرآن الكريم، ويُمكن تقسيم هذه المجموعة على فئتَين: فئةٌ ترفضُ وجودَ الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم ومِن ثَمَّ فهي ترفضُ التَّفسيرَ العِلميّ بوصفه منهجًا يدرسُ الإعجاز، ويُمكن أنْ نُسمّيها (فئةُ المُعَطّلين). وفئةٌ تقرُّ بوجودِ آياتٍ كونيَّة تُشيرُ إلى علومٍ مُختلفة، ولكنَّهم يرفضون التَّفسيرَ العِلميَّ لتلك الآيات لاعتباراتٍ تتعلّقُ بحرصِهم على القرآن وخشيتِهم مِن الشَّطَطِ في التَّفسير، ويُمكن تسمية هؤلاء (فئة المُحترزين).وسنعرضُ –بإيجاز– لآراءِ هاتَين الفئتَين وبيان موقفهم، مكتفين بأهم أصحابها مِن القدماء والمُحدَثين، وكالآتي:

الفئة الأولى (المُعَطّلين): ويُمثّلها مِن القدماء الإمام الشّاطبيّ، ومِن المُحدَثين الدّكتور محمد كامل حسين.

١- **أبو إسحاق الشّاطبيّ (ت٧٩٠هـ):**أورد الشّاطبي رفضه لهذا اللّون مِن التَّفسير في المسألة الرّابعة مِن كتابه (الموافقات)، وتقوم هذه المسألة على دعوى (أمّيَّة الشَّريعة)، فلمّا كان العربُ قومًا أُمّيّين، وَجَبَ أنْ تكونَ الشَّريعةُ أُمّيَّةً(٢٠) كذلك؛ إذ ليس مِن الحكمةِ مُخاطبةُ قومٍ بما لا يفهمون(٢١)، ولا أنْ يُكلَّفوا بما لا يعقلون(٢٢)، ومِن ثَمَّ فإنَّ الآيات الّتي ذكرت السَّماء والأرضَ وما فيهما مِن كائنات إنَّما أوردَت علومًا معهودةً عند العرب(٢٣)،ولا تُقارَنُ بماعندالأقدمين المبنية على العلوم الطَّبيعيَّة، لذلك أخطأ الّذين أضافوا إلى القرآن "كُلَّ عِلمٍ يذكرُ للمُتقدّمين أو للمُتأخّرين مِن علوم الطَّبيعيّات والتَّعاليم والمَنطق وعِلمِ الحروفِ وجميع ما نظرَ فيه النّاظرون مِن هذه الفنون وأشباهها"(٢٤)واحتجَّ لرأيه في ردِّ هذا اللّون مِن التَّفسير بعدم وروده عن السَّلف الصّالح مِن الصّحابةِ والتّابعين وهم الأعلمُ بالقرآنِ وعلومِه وما أوْدِعَ فيه(٢٥).كما نقض

استدلال القائلين بالتَّفسير العِلميّ الّذين استدلّوا على اشتمال القرآن لِلعلومِ بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] بأنَّ المُراد مِن الآية الأولى عند المُفَسّرين ما يتعلَّق بالتَّكليف والتَّعبّد، وأنَّ المُراد بالكتاب في الآيةِ الأخرى هو اللّوحُ المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمّنه لجميع العلوم العقليَّةِ والنَّقليَّة، كما نعى على هؤلاء طريقتهم في تفسيرِ فواتحِ السُّوَر بما لم يعهده العرب(٢٦).

٢- الدّكتور محمد كامل حسين

رفض الدّكتور محمد كامل حسين في كتابه (الذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة) مبدأ اشتمال القرآن للعلوم –بالمعنى الحديث– وهذا الرَّفضُ ينسحبُ بالضَّرورة إلى التَّفسير العِلميّ للقرآن، مُعلِّلًا هذا الرَّفض بثلاثة أسباب تتعلّقُ بالاختلاف بين القرآنِ والعِلم مِن ناحية الموضوع(٢٧)، والمنهج(٢٨)، والأهداف(٢٩).

الفئةُ الثّانية: وأشهرُ مَن يُمثِّلُ هذه الفئة: الإمام محمود شلتوت، والشَّيخ أمين الخوليّ، وسيد قطب، والسَّيّد محمّد باقر الصَّدر، والشَّيخ محمد حسين الذَّهبيّ، والدّكتورة عائشة عبد الرّحمن (بنت الشّاطئ)، والأستاذ عبّاس محمود العقّاد، والدّكتور شوقي ضيف، والدّكتور عبد السّلام المُحتَسِب، والدّكتور أحمد الشّرباصيّ، والشَّيخ يوسف القرضاويّ، وغيرهم.وقد اختلفت درجات اهتمام هؤلاء الأعلام بالتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم، فمِنهم مَن درسه دراسة مُركَّزة(٣٠)، ومِنهم مَن اكتفى بالدِّراسةِ الموجزةِ أو الملاحظة العابرة(٣١).اتَّفقَ أصحابُ هذه الفئة مع أصحابِ الفئةِ الأولى في رفضِهم للتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم، وخالفوهم في تأكيدهم على عدم وجود تضارب بين حقائق القرآن وحقائقِ العِلم، فلم يجعلوا القطيعة حاسمة بينهما، وكأنَّ مُعارضتهم لهذا اللّون مِن التَّفسير لم تكن رفضًا لذاتِه، وإنَّما رفضوا الغلوّ والمبالغة فيه، ومخالفة أصول العِلم في تناوله، والتأويل الخاطئ الّذي قد يمسُّ أسس العقيدة وضروريّات الشّرع.مع ذلك، اعترفوا بوجود آيات قرآنيَّة تُشيرُ إلى موضوعاتٍ عِلميَّةٍ مختلفة، وأنَّ هذه الآيات لا تتعارض مع ما قرَّره العِلم الحديث(٣٢)؛ وبالرَّغم مِن ذلك يرى الخوليّ أنَّ ضررَ هذا التَّفسير أكبرُ مِن نفعِه، وذكر بطلانه مِن نواحٍ ثلاث: النّاحية اللّغويَّة، والنّاحية الأدبيَّة البلاغيَّة، والنّاحية الدِّينيَّة والاعتقاديَّة(٣٣).إنَّ إثبات هذه الفئة لوجود العلوم في القرآن الكريم مِن جهة ورفضها للتَّفسيرِ العِلميّ أوقعها في اضطرابٍ شديدٍ وتناقضٍ عِلميٍّ ومنهجيٍّ صارخ، سنأتي عليه بالتَّفصيل عند مناقشة آرائهم.ويتَّضحُ هذا الاضطرابُ والتَّناقض في نصوص بعض أعلام هذه الفئة؛ مثل محمد رشيد رضا، والدكتورة بنتُ الشّاطئ، وسيّد قطب، ومحمد عبد العظيم الزّرقانيّ؛ إذ نجدهم في بعض النّصوص يُعارضون التَّفسير العِلميّ بِشِدَّة، ويعدّونه ضلالًا بيّنًا، ويرون فيه خلطًا يفسِدُ الدِّينَ ويُهينُ العِلم، ويشغل عن القرآن ويصرفُ عن حقيقة مقاصده ومعانيه، واتّهموا أصحاب هذا الرَّأي بالتَّمحُّلِ والتَّكلُّف(٣٤). ولكنَّهم في مواضع أخرى مِن كتُبِهم لا يُنكِرون وجود العلومِ في القرآن(٣٥). ويدعون إلى الانتفاع بما يكشفُه العِلمُ مِن نظريّات ومِن حقائق عن الكونِ والحياةِ والإنسانِ في فَهمِ القرآن(٣٦). بل نراهم يُورِدون شواهد عديدة لآياتٍ قرآنيَّةٍ فيها إشاراتٌ عِلميَّة ويُفَسِّرونها تفسيرًا عِلميًّا يربطها بعلوم العصر الحديث(٣٧)، على طريقةِ مَن انتقدَوهم! إنَّ هذه المواقف المُتناقضة والآراء المُتضاربة الّتي استطاعت الباحثة تسجيلها –وقد يكون هناك غيرها مِمّا لم أقف عليه– تكشفُ لنا بوضوح أنَّ هذه الفئة تقرُّ بالإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم ولكنَّها تُعارضُ التَّفسيرَ العِلميّ بداعي الاحتراز.لقد استدلّ أصحابُ هذه الفئة على صحّة موقفهم بحُجَجٍ مكرورة، ساقها الشّاطبيُّ مِن قبل وكرَّروها مِن بعدِهِ وزادوا عليها، فأجمعوا على بعضِها وانفردَ بعضُهم بأخرى، ويُمكِنُ إجمال أسباب رفضِهم بالآتي

١- إنَّ هذا اللّون مِن التَّفسير لم يَرِد عن النّبي محمّد (ﷺ) ولاعن الصّحابةِ والتّابعين(٣٨)،وفي هذا ما فيه مِن تجهيل للنّبي (ﷺ) والصّحابة بما أصبح عليه التَّفسير وما استجدَّ مِن معانٍ في ضوءالعلوم المُستحدَثة لم تكن ظاهرةً لهم في عصرالنّزولِ ولا بعده(٣٩)

٢- إنَّ التَّفسير العِلميّ يتنافى مع كون القرآن الكريم خطابًا موجَّهًا إلى عموم النّاس، العُلماء مِنهم والعوام، في حين يتوجَّهُ العِلمُ إلى العلماءِ مِن أهل الاختصاص(٤٠)؛ لذلك يعتمدُ القرآن في إبراز حقائقه على الأمور القريبة مِن الإدراك(٤١).

٣- اختلاف الموضوع بين العِلم والقرآن؛ فالعِلمُ يختصُّ بالعلوم الطَّبيعيَّة الماديَّة؛ لذلك فهو يُخاطبُ العقل، بينما يختصُّ القرآن بالإلهيّات والغيبيّات وبقوانين إصلاح النَّفس البشريَّة وتهذيبها؛ لذلك فهو يُخاطبُ النّفسَ والوِجدان(٤٢).

٤- اختلاف المنهج بين العِلم والقرآن في تبليغ الحقائق، بما يُمكن أنْ نُسمّيه (الثّابت والمُتغيّر)؛ فالعِلمُ يعتمدُ على التَّجريب ويقومُ على التَّغيير المُستمر في نظريَّاتِه، في حين تتسم الحقائق القرآنيَّة بالثَّباتِ والاستقرار، ولا يُمكنُ مُحاكمة الثّابت بالمُتغيّر؛ لأنَّ هذا المنهج يجعل التَّفسير عرضةً إلى البلبلةِ والانحراف، ويُفضي إلى انتهاك قدسيَّةِ القرآن(٤٣).

٥- الاختلاف في الأهداف بين العِلم والقرآن؛فالعِلمُ يسعى إلى معرفة أسرارالطَّبيعة والإفادة مِنها،أمّاالقرآنُ الكريم فهوكتابُ هِداية للنّاس وبيانٌ لعقائدهم وليس كتابًا عِلميًّا كما يُحاولُ القائلون بالتَّفسير العِلميّ تصويره(٤٤)؛ لذلك فقد أخطأ مَن جعله مُشتملًا للعلومِ جميعِها(٤٥)وأنَّ الآيات الكونيَّة فيه لايُقصدُبهاغيرالوعظ،أمّا التَّعمّق في تصويرِهاوتأويلها بحسب مُعطيات العِلم فهو بدعةٌ حمقاء(٤٦).

٦- إنَّ العلوم الحديثة تُصاغُ صياغةً ماديَّة محضة، وأنَّ نظريّاته مِن وَضعِ ملاحدة أصَّلوا علومهم ونظريّاتهم على جحود الخالق(٤٧) وعدم الإيمان به ولا برسله.

٧- إنَّ الإعجاز القرآنيّ مُنحصرٌ بالإعجاز البيانيّ لأنَّه موجودٌ في جميع آياتِ القرآن، ولأنَّ فيه تحدٍّ للكفّارِ -حينها- بأنْ يأتوا بمثل القرآن وهم المعروفون بالفصاحة والبيان؛ أمّا الإشارات العِلميّة فهي لا تشملُ جميع آيات القرآن، ولا تصحُّ أنْ تكونَ تحدّيًا للكفّارِ على الإتيان بمثل القرآن؛ إذ لا يُمكن تحدّيهم بأشياء لا يعرفونَها(٤٨).

٨- إنَّ العلوم الّتي أخبرعنها القرآن الكريم لا تُعدُّ إعجازًا؛ لأنَّها مذكورةٌ في الكتب السَّماويَّة السّابقة للقرآن، وموجودةٌ في تراث الأمم(٤٩).

٩- إنَّ معرفة الإنسان للحقائق الكونيَّة الواردة في القرآن وقدرته على الإتيان بمثل تلك العلوم والحقائق يتنافى مع فكرة الإعجاز ويُبطِلُ غرضَ التَّحدّي؛ لأنَّ هذه الحقائق لم تعدْ أمرًا خارقًا للعادة ولا سالمًا مِن المُعارضة لذلك يرى بعضُ العلماء أنَّ هذه الآيات وما فيها مِن حقائق وعلوم وإشارات كونيَّة لا تدخلُ في الإعجاز العِلميّ، وإنَّما هي دليلٌ على المصدر الرَّبانيّ للقرآن فحسب(٥٠).

١٠- إنَّ القائلين بالتَّفسير العِلميّ يتكلّفون في تفسيرِهم للآياتِ الكونيَّة ويلوون عنق الآيات لتتوافق مع الحقائق العِلميَّة. كما أنَّهم يوسّعون دلالة الآيات الّتي عدّوها بابًا للقول بالإعجاز العِلميّ، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصّلت:٥٣]، وهي آيات لا تتناسب مع ما يستدّلون به(٥١). كما أنَّهم يتصرّفون بألفاظ القرآن تصرّفًا غير مشروع وتحميلها معانٍ غير معانيها المعروفة في زمن النّزول(٥٢).

المَطلَبُ الثّاني: آراءُ المؤيّدين للتَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم

ينقسمُ المؤيّدون للتَّفسيرِ العِلميّ على فِئَتَين أيضًا، يُمكن تسمية الأولى (فئةُ المُوَسّعين)، والأخرى (فئةُ المُعتدلين)، وسنتناولُ هاتَين الفِئَتَين كالآتي:

أ-المُوَسّعون في التَّفسير العِلميّ للقران الكريميرى أصحاب هذه الفئة أنَّ القرآن الكريم يشتملُ على جميع المعارف والعلوم، وأنَّ الإشارات الكونيَّة فيه مقصودةٌ لذاتِها، لذلك راحت تدرس القرآن على طريقة أصحاب العلوم التَّطبيقيَّة، بدعوى معرفة الحكمة مِنها والوصول عن طريقِها إلى الهداية، ويُمثِّلُ هذا المذهب كثيرٌ مِن العُلماء القدامى والمُحدَثين.

١- **العُلماء القدامى**، وأشهرهم: (الغزاليّ، والرّازيّ، والسّيوطيّ، والآلوسيّان، والإسكندرانيّ)يُعدُّ الإمام الغزالي مِن أشهر مُفسري عصره الّذين أشاروا إلى وجود أوائل العلوم في القرآن الكريم، وذلك في كتابَيه: إحياء علو الدّين، وجواهر القرآن.فقد خصَّص الغزاليّ بابًا عن القرآن في كتابه إحياء علوم الدّين، تحدَّث فيه عن العلوم الواردةِ في القرآن، فقال: "فالعلومُ كُلُّها داخلةٌ في أفعالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وصفاتِه، وفي القرآنِ شَرْحُ ذاتِه وصفاتِه، وهذه العلومَ لا نهايةَ لها، وفي القرآن إشارةٌ إلى مجامعها، والمقامات في التَّعمّق في تفصيلها راجعٌ إلى فهمِ القرآن، ومُجرّد ظاهر التَّفسير لا يُشيرُ إلى ذلك"(٥٣). فهذه دعوة صريحة إلى التَّأمّل في كتاب الله والنَّهلِ مِن علومِه، وعدم الاكتفاء بالتَّفسير الّذي يكتفي بالظّاهر، وهو التَّفسير الشّائع وقتذاك، بل ينبغي تفسير القرآن تفسيرًا يستنبطُ العلوم الّتي يحويها، وتحويلها مِن حيّز الإمكان إلى فضاءِ الإنجاز؛ ليفيدَ مِنها النّاس، وليُستدلَّ بها على صحّة الإسلام وإلهيَّة كتابه، وهذا هو جوهر ما نُسمّيه اليوم (التَّفسير العِلميّ للقرآن).أمّا كتابه الآخَر: جواهر القرآن، فقد خصَّصه لإثبات أنَّ أصول العلوم موجودة في القرآن وتشعّبت مِنه، كعلوم الدّين، والطِّب، والنّجوم، والحيوان، وغيرها مِن العلوم، فقال: "أوَ ما بلغَكَ أنَّ القرآنَ هو البَحرُ المُحيط، ومِنه يتشعَّبُ عِلمُ الأوَّلينَ والآخِرين؟"(٥٤). ويُضيف: إنَّ "هذه العلوم، ما عدَّدنا مِنها وما لم نعدّ، ليست أوائلها خارجةً عن القرآن؛ فإنَّ جميعها مُغترَفَةٌ مِن بحرٍ واحدٍ مِن بحارِ الله تعالى، وهو بحرُ الأفعال"(٥٥). وهذا النَّص تأكيدٌ لِما جاء في كتابه الأوّل، الأمر الّذي يؤكّدُ لنا أنَّ الإمام الغزاليّ مؤمِنٌ بوجود العلوم التَّجريبيَّة -كما نسمّيها اليوم- في القرآنِ الكريم بما تتناسب ومعارف عصره، داعٍ إلى تدبّر القرآن وفهمِه واستنباطِ تلك العلوم مِنه، وبذلك يكونُ الإمامُ الغزاليّ واحدًا مِن أهم مَن أرسى الأسس النَّظريَّة لِما يُصطلَح عليه اليوم "التَّفسير العِلميّ". وإذا كان الإمام الغزاليّ قد اكتفى بالتَّنظير للتَّفسير العِلميّ والدَّعوة إلى اعتمادِه في بيان الآيات الكونيَّة في القرآن، فإنَّ الإمامَ الرّازيّ أوّلُ مَن استجابَ لهذه الدّعوة وطبَّقها عَمليًّا في تفسيره "مفاتيح الغيب"

المعروف باسم "التَّفسير الكبير". فقد سلك الرّازي في تفسيره هذا مَسلك العلماء الطَّبيعيّين في الكونيّات، ليستدلّ على وحدانيّة الله وتفرّده وبيان عظمته. فأشار إلى الأصول الّتي يحويها القرآن بقوله: "اعلم أنَّ المقصود الأعظم مِن هذا القرآن أربعة: الإلهيّات، والنّبوّات، والمَعاد، وإثبات القضاء والقدر، والمَقصود الأعظم مِن هذه الأصول الأربعة تقريرُ الإلهيّات"(٥٦). وقد أدخل علمَ الأفلاك والنَّباتات والحيوانات وخَلْقَ الإنسانِ وأجزائِهِ وغيرَها مِن العلوم في الإلهيّات، واتّخذ مِنها أدلّةً على وجودِ الله وعظمتِه، وشاهدًا على تفوّقِ حكمةِ القرآنِ على الفلسفة، وتفرّده في هدايةِ البَشر، الأمر الّذي يؤكّدُ مصدرَه الرّبانيّ.أمّا الإمامُ السّيوطيّ فقد عقدَ في المجلّد الرّابع مِن تفسيرِهِ الإتقان فصلًا سمّاه: (النّوع الخامس والسّتون في العلومِ المُستنبطَةِ مِن القرآن)، وصدّره بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النَّحل:٨٩]، وأكّدَ مقولَة السّابقين في اشتمال القرآن الكريم على العلومِ جميعها، إذ يقول: "وأنا أقول: قد اشتملَ كتابُ الله العزيز على كُلِّ شيء، أمّا أنواع العلوم فليس مِنها بابٌ ولا مسألةٌ هي أصل؛ إلّا وفي القرآن ما يدلُّ عليها، وفيه عجائبُ المَخلوقات، ومَلكوت السَّماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثَّرى، وبَدْءُ الخَلق، وأسماء مشاهير الرّسل والملائكة، وعيون أخبار الأُمَمِ السّالفة..."(٥٧). واستدلَّ على صحّة دعواه بجملةٍ مِن أحاديث الرّسول الكريم وأقوال الصّحابةِ والتّابعين، وآراء بعض المُفَسّرين الّذين ذهبوا مذهبه، ومِن بينهم أبو الفضل المرسيّ؛ فقد نقل عنه السّيوطيّ نصًّا طويلًا يتحدَّثُ فيه عن جَمعِ القرآن لعلومِ الأوّلين والآخِرين، لم يُحِطْ بها عِلمًا إلّا رسولُ الله (ﷺ) وخلفاؤه والعُلماءُ مِن الصّحابة والتّابعين، وبعد ذلك تقاصرت هِمَمُ مَن جاء بعدهم، فلم يستطيعوا حَملَ علومِه كُلِّها؛ لذلك اختصّت كُلُّ طائفةٍ مِن العلماء بفنٍّ مِن فنونه وعلمٍ مِن علومِه(٥٨)ومِن المُفسّرين السّابقين الّذين التزموا التّفسير العِلميّ قبل القرن الرّابع عشر، العلّامة أبو الثّناء الآلوسيّ في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني"، الّذي سار فيه على طريقة الإمام الرّازيّ. وألّف السّيّد محمود شكري الآلوسيّ، وهو حفيد العلّامة الآلوسيّ، كتاب "ما دلَّ عليه القرآن مِمّا يُعضِّدُ الهيأة الجديدةَ القويمة البرهان"، ساند فيه نظرية فيثاغورث حول محوريَّة الشّمس ومركزيّتها، وأنَّ الأرضَ كوكبٌ كسائرِ الكواكب، تدورُ حول الشّمس ومُعلّقةٌ بجاذبيَّتِها، إذ يقول عن تلك النَّظريَّة: "وقد رأيتُ كثيرًا مِن قواعدها لا يُعارضُ النّصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة، على أنَّها لو خالفت شيئًا مِن ذلك لم يُلتَفَت إليها"(٥٩). وقد دعمَ رأيه بشواهد قرآنيَّة.ومِن العُلماء الّذين اهتمّوا بالعلوم الموجودة في القرآن، الطَّبيب محمَّد بن أحمد الإسكندرانيّ، في كتابِهِ "كشف الأسرار النُّورانيَّةِ القرآنيَّة فيما يتعلَّقُ بالأجرامِ السَّماويَّةِ والأرضيَّة والحيوانات والنَّباتات والجواهر المَعدَنيَّة"؛ ولعلَّ عنوان الكتاب وحدَه يكشفُ عن نظرة الإسكندرانيّ لهذه المسألة، فهو يرى القرآنَ الكريم حاويًا لِكُلِّ العلوم: كالزّراعة والصّناعة، والمعادن، والفلك، والطّب، والهندسة، والحساب، وغيرها مِن العلوم بتفصيلاتِها وأجزائِها(٦٠). هذا وقد اتّجه التّفسير العِلميّ بعد الآلوسيّ نحو تناول القضايا التّطبيقيَّة والكونيَّة بحسب موضوعاتها في القرآن الكريم، وقد تصدّى لهذا الاتجاه في التّفسير المُختصّون في تلك العلوم.

٢- **العُلماءُ المُحدَثون**، وأشهرهم: (جمال الدّين الأفغانيّ، والشّيخ محمَّد عبده، والشّيخ طنطاوي جوهريّ).

- **جمال الدّين الأفغانيّ**:أبدى الشّيخ جمال الدّين الأفغانيّ أسفه على انشغال الدّراسات الخاصّة بالقرآن الكريم على بعض المسائل التّقليديَّة الّتي لا طائل مِنها؛ كالتّعمّق في تفسير باء البسملة، أو دراسة مخرج صاد الصّراط، كما قلّل مِن شأنِ آراء بعض المُفَسّرين وما استنبطوه مِن أحكام. لذلك صار يدعو إلى اكتشاف كنوز القرآن واستنباط العلوم الحديثة مِنه(٦١)، وقد طبّقَ دعوتَه هذه بتفسيرِ بعضِ الآيات، وكان منهجه فيها قائمًا على إسقاط الأسماء والاختراعات الحديثة والألقاب السياسيَّة المعاصرة على آيات القرآن الكريم وإخضاع دلالاتها لها؛ على نحو ما فعل في تفسير قصة ملكة سبأ مع النَّبي سُلَيمان ﴿عليه السلام﴾(٦٢).وهذا التَّفسير واضحُ التّكلّف، جريء التَّصرّف، وهو تفسيرٌ مُتهافت؛ يُخرِجُ الدّلالة القرآنيَّة عن مقصدِها، ويخلو مِن سموّ البلاغةِ وحُسنِ البَيان، وهو عيّنةٌ لباقي تفسيراتِه، ومُمَثِّلًا للمنهج الّذي سار عليه فيما يُسمّيه التَّفسير العِلميّ للآيات.

- **الشَّيخ مُحَمَّد عبده**:الأمرُ ذاته نجده عند تلميذه الشَّيخ مُحمَّد عبده؛ فقد سار على نهج أستاذه في إسقاط المصطلحات الحديثة على دلالة الآيات القرآنيَّة، كما فعل في تفسير سورة الفيل؛ إذ فسَّرَ طير الأبابيل بأنَّها جنسٌ مِن البعوضِ أو الذُّباب، حمل بأقدامه الأمراض والميكروبات فتسبَّبت بإصابة جيش الحبشة بالجدري"(٦٣).وزعم أنَّ تفسيره هذا يستندُ إلى روايةٍ مُتَّفقٌ عليها، نقلها "عكرمة" وأكَّدَ فيها أنَّ الجدري والحصبة لم يُعرفا في بلادِ العرب إلّا في هذا العام؛ أي عامُ الفيل(٦٤). والحال أنَّ هذا الاتفاق هو ادّعاءٌ لا وجودَ له ولا سند، بل أنَّ الرّوايات المَشهورة عند جمهور المُفَسّرين والمؤرّخين تُثبت عكس ذلك، مِن ذلك ما قاله ابنُ الأثير مِن أنَّ مثل هذا الكلام: "لا ينبغي أنْ يُعَرَّجَ عليه؛ لوجودِ هذه الأمراض مُنذ خلقَ اللهُ العالَم"(٦٥)؛ فلو صحَّت هذه الرّواية لاحتجَّ بها الكُفّارُ والمُشركون لتكذيب النَّبي مُحمَّد(ﷺ)؛

ولكنَّ خبرَ الطَّير مشهودٌ ومتواترٌ عندهم. كما أنَّ إسقاط هذه المُصطلحات المُستحدثة على ألفاظ القرآن الكريم لا يتَّفقُ مع بلاغته ولا مع فصاحة العرب.كما فسَّرَ الشَّيخ مُحَمَّد عبده المُعجزات والغيبيّات تفسيرًا ماديًّا مُعتمِدًا على الطَّبيعيات، كتفسيرِه لقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[التَّكوير:٦](٦٦)؛ فنجدُه في هذا التَّفسيرِ يُفَسِّرُ الغيبيّات المُتعلّقةِ بأهوالِ يومِ القيامة تفسيرًا ماديًّا طبيعيًّا، ويستدلُّ على رأيه بالأخبارِ الضَّعيفة، ثُمَّ يُعَضِّدُه بالعلومِ التَّجريبيَّة وبالكوارث الطَّبيعيَّةِ الَّتي حصلت في بعض البُلدان.

- **الشَّيخ طنطاوي جوهريّ**:وإذا كان الأفغاني أسَّسَ لهذه الطَّريقة في التَّفسير، وعزَّزها بعده تلميذه مُحمَّد عبده، فإنَّ الشَّيخ طنطاوي جوهريّ هو أشدّ علماء العصر تشيّعًا لهذا المنهج، وأكثرهم توظيفًا للعلوم والنَّظريّات والكشوفات الحديثة في تفسيره: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات".فهو يرى أنَّ العلمَ وحدَه في هذا العصر هو القادرُ على تفسير الآيات والكشف عن معانيها، وأنَّ الآيات الّتي تحمِلُ إشاراتٍ عِلميَّةً في القرآن أكثر مِن نظيراتِها في الفِقه، ومع ذلك لم تحظَ بالاهتمام مثلها(٦٧).لذلك نعى على العُلماءِ والمُفَسِّرين الّذين أهملوا هذه الآيات، وحمَّلَهم مسؤوليَّةَ الجهل والتَّخلّف الّذي انتهى إليه المسلمون، وأنَّه لا سبيل لتصحيح هذا الحال وارتقاء الأمَّة الإسلاميَّة وتغلّبها على الفرنجة إلّا بربط العلوم المُستحدثة بالقرآن الكريم، وتفسير آياتِه على وِفقِ تلك العلوم والمُكتشفات الّتي هي أفضلُ مِن العنايةِ بالفرائض(٦٨).ويرى الشَّيخ جوهريّ أنَّ البلاغة مُختصَّةٌ بألفاظ القرآن، أمّا العلوم في تبيانٌ لمعانيه، والمعنى أوْلى بالفهمِ مِن اللّفظ(٦٩)؛ وأنَّ الآيات الّتي فيها إشارات عِلميَّة أوْلى بالدِّراسَةِ والتَّفسيرِ مِن آياتِ الفِقه؛ لأنَّها أكثرُ مِنها عددًا، إذ تبلغ الآيات العِلميَّة سبعمائة وخمسون آيةً صريحة، مع وجودِ آياتٍ أخرى دلالتُها تقربُ مِن الصَّراحة، في حين لم يحوِ القرآنُ مِن آياتِ الفِقه في القرآن إلّا آياتٌ قلائل لا تَصِلُ مائةً وخمسين آية، لذا دعا إلى البراعة في العلوم كما برع السَّلَفُ في الفِقه، وبذلك تتحقَّقُ نهضةُ الأُمَّةِ ورُقيُّها(٧٠).هذا على المُستوى النَّظريّ، أمّا على المستوى التَّطبيقيّ فإنَّ تفسيره –بشكلٍ عام– يقومُ على أساس النَّظريّات العِلميَّة وعلى معطيات العلوم والمُكتشفات السّائدة في عصرِه، وإسقاطها على الآيات القرآنيَّة الّتي فيها أقلّ إشارة لتلك العلوم والمُكتشفات فيتعمّقُ فيها ويُفصِّل في سبيل الرَّبط بينهما، مِن ذلك تفسيره لقولِه تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[الزلزلة:١]، فقد فسَّرَ الدِّلالة اللّفظيَّة لها بإيجاز، ثُمَّ انتقل إلى الحديث عن زلزالٍ وقع في إيطاليا، وأسهبَ بعد ذلك في الحديثِ عن تطوّر العِلمِ في استخراج المعادنِ مِن باطنِ الأرض، وربط ذلك كُلّه بالآيةِ المُباركة(٧١).وقد يتعسَّفُ في تفسيرِه لبعضِ الآيات ويلوي أعناق النَّصوص ليربطَ بينها وبين العلومِ، ورُبَّما يتوسّعُ في ذلك بما لا يمتُّ للتَّفسيرِ بصِلَة، كصنيعِه في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا...﴾[البقرة:٦١]، فقد عقد لتفسيرِ هذه الآية عنوانًا: "الفوائدُ الطِّبيَّة في هذه الآية"(٧٢).ومِن منهجه في التَّفسيرِ أيضًا الإكثار في الموازنات بين مقرّرات العِلمِ الحديث وبين الإشارات العِلميَّة الموجودة في الآيات القرآنيَّة أو في الحديث النَّبويّ الشَّريف، وقد يعقد تلك الموازنات على هيأةِ جداول بين الطَّرفَين، كما صنع في تفسيرِه للآيات (١٥١–١٧٥) مِن سورةِ آل عمران، فبعد أنْ أسهبَ في ذِكرِ العلوم والاكتشافات والحوادث الطَّبيعيَّة، والحديث عن الاستعمار ووجوب مقاومته والاستشهاد بمواقف (غاندي)، والحديث عن عالَمِ الأرواح واستحضار روح العالِمِ الإيطاليّ غاليلو، بعد ذلك كُلّه قال: "هذا مُلَخَّصُ ما جاء في العِلمِ الحديث وفي عِلمِ الأرواح موازَنًا بهِ ما جاء في القرآنِ والحَديث"(٧٣).وقد تكرّرت مثل هذه الموازنات في تفسيرِه وشغلت حيّزًا كبيرًا مِنه. كما شاع في تفسيره استعمال الرّسوم والأشكال والرّموز(٧٤).كذلك نجده يلجأ للتَّأويل في حديثِه عن أمورٍ وقضايا غيبيَّة لا تخضعُ للعِلمِ التَّجريبيّ، كحديثِه عن الملائكة، والإسراء والمعراج، والبعث والنّشور وإحياء الموتى، فيجعلها أمورًا مُمكنة الحدوث اليوم، مُستدلًّا على صحّةِ رأيه بالخرافات الشّائعة، مِن ذلك تأويله لقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٣]، فهو يزعم أنَّ هذه العمليَّة ضربٌ مِن تحضيرِ الأرواح الّذي يدّعي –أيضًا– أنَّه كان شائعًا في عصرِه في أمريكا وأوروبا(٧٥). وكذلك تأويله للحروف المُقطَّعةِ في أوائل السُّوَر، إذ يُحاوِلُ أنْ يربطها قَسْرًا ببعضِ مُقرّرات العِلمِ الحديث، كصنيعِه في تفسير الحروف المُقطَّعة في مطلع سورة آل عمران(٧٦). وصنيعه هذا ينطبقُ على بقيَّة السُّوَر.لقد غالى الشَّيخ جوهريّ –رحمه الله– كثيرًا في تطبيق المنهج العِلميّ في تفسيرِه، وكان له الأثر الأكبر في انحراف مسيرة التَّفسير العِلميّ(٧٧)، وصار سببًا في رفضِ هذا اللّون مِن التَّفسير، ورُبَّما رفض الإعجاز العِلميّ في القرآن وإنكاره؛ بسبب الرّبط التَّعسّفيّ الّذي عرضنا نبذةً مِنه. مِن أجلِ ذلك كُلّه أثار تفسيره جدلًا واسعًا في السّاحة العِلميَّة بين مؤيِّدٍ ومُعارِض، بل وصل الأمرُ إلى حدّ مصادرته ومنع طبعه في المملكة العربيَّة السّعوديَّة(٧٨).

المبحث الثاني ترجيحُ الحُجَجِ والآراء، وضوابطُ التَّفسير

كشف المبحث السّابق عن انقسام الآراء حول التّفسير العِلميّ للقرآن على أربع فئات تندرج تحت فريقَين: فريقُ الرّافضين ويضمُ فئةَ الرّافضين مُطلَقًا (المُعَطِّلين) وفئةَ الرّافضين (المُحترزين). وفريقُ الموافقين ويضمُ فئةَ (المُوَسّعين) وفئةَ (المُعتدلين)، وقد ذكرنا حُجَجَ الفريقَين في المبحث السّابق، وسيُعنى هذا المبحث بالتّرجيح بين تلك الآراء في المطلب الأوّلِ مِنه، أمّا المطلبُ الثّاني فسيُخَصَّصُ لِذِكرِ الضّوابطِ الّتي وضعها العُلماءُ في سبيلِ تحصينِ التّفسيرِ العِلميّ مِن الزّلَلِ أو القول فيه بالأهواء.

المَطلَبُ الأوّل: مُناقشةُ الآراءِ والتّرجيحُ بينها

لعلّه مِن نافلة القول: إنّنا نتبنّى موقفَ الموافقين المُعتدلين؛ لذا، سنردُّ على آراء الرّافضين، ونستقرئُ حُجَجَهم الّتي ذكرناها في المبحثِ السّابق، ونناقشُها بما نراه صائبًا ومستندًا إلى أدلّةٍ عقليّةٍ أو نقليّة، بذكرِ الرّدودِ فقط، مُرَتّبَةً بحسب ترتيب الحُجَج المذكورةِ هناك.

١- وتجبُ الإشارةُ ابتداءً إلى أنّ أسباب الرّافضين وأسباب الموافقين تُشكّلُ في جوهرِها حُجَجًا اقتنع بها أصحابُها وساقوها أدلّةً لتبريرِ موقفهم، لذا سنُحجِمُ –هنا– عن إيرادِ حُجَجِ الموافقين؛ خشيةَ التّكرار، ولأنّنا سنُوظّفُ مَضمونَها في الرّدّ على الرّافضين، مع تعضيدها بالأدلّة والشّواهد.

ب-فئةُ المُعتَدلين: يُمَثّلُ هذه الفِئة علماء ومُفكّرون وباحثون كُثُر، أبرزهم: عبد الحميد بن باديس، ومُحمّد بن الطّاهر عاشور، والشّيخ مُحَمّد متولّي الشّعراويّ، والرّافعيّ، والدّكتور فهد الرّوميّ، وعبد الرّزّاق نوفل، والدكتور البشير التُّركيّ، والشّيخ عبد المجيد الزّنداني، والدكتور نعيم الحمصيّ، والدّكتور كاصد ياسر الزّيديّ، والدّكتور زغلول النّجار، والدّكتور نادى درويش، والدّكتور مرهف عبد الجبار سقا، وموريس بوكاي، وغيرهم كثير .ويُمكن تلخيصُ حُجَج وآراء هذه الفئة بالآتي:

٢- إنّ التّفسير العِلميّ يدخلُ تحت التّفسير بالرّأي، ومِن ثَمّ فإنّ حُكمَهما واحد[٧٩].

٣- لَمّا كان القرآن الكريم كتاب هداية وهو كتابُ الدّين الخاتم، لزمَ أنْ يكونَ شاملًا لجميع البشرِ وعلى مرّ العصور، وهذا لا يتحقّقُ في البيان وحدَه، فإنْ كانَ البيانُ صالحًا للتّحدّي زمن النّزول فإنّه لا يصلحُ في هذا العصر؛ وإنْ وَجَبَ أنْ تكونَ المُعجزةُ مِن جنس ما يُحسنُه المُتَحَدّون بها وَجَبَ أنْ يكونَ التّحدي والإعجازُ في هذا العصر عن طريقِ العِلم، مع الإقرار بأنّ إعجاز القرآن لا ينحصرُ في الإعجاز العِلميّ بل هو وَجهٌ مِن وجوه إعجازه، وهو الأصلحُ لزماننا[٨٠].

٤- كثرة الآيات القرآنيّة الّتي تحوي إشاراتٍ كونيّة، وتحملُ مضامين عِلميّة، وإخبار القرآن بتلك الحقائق يفرضُ علينا دراستها[٨١].

٥- إنّ تلك الإشارات الكونيّة والمضامين العِلميّة لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن، وقد اكتشفها العِلمُ الحديث وأثبتَ صحّتها وتوافَق معها[٨٢]، وهذا يعني سبق القرآن وإثبات إعجازه[٨٣].

٦- وجود كثير مِن الألفاظ والمعاني في القرآن لا يُمكن فهمها ولا إدراك مقصدها إلّا بالاستعانة بما توصّل إليه العِلم، وفي ضواء التخصّص الّذي تنتمي إليه تلك المعاني والألفاظ[٨٤].

٧- إنّ القرآن الكريم نزل في بيئةٍ جاهلةٍ تقومُ على الخرافة، ومع ذلك يُقدّم نظريّات خاطئة كانت سائدة في عصرِه ولم يُخبِرْ عن الكون بخرافاتِ السّابقين، بل اصطدمَ مع أفكارهم وخالَفَ رؤاهم[٨٥].

٨- التّفسير العِلميّ هو المنهج الوحيد الّذي يُمكنه إثبات الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم، ولهذا الأمر ثمرات عديدة نافعة؛ مِنها إثبات المصدر الرّبانيّ للقرآن الكريم وأنّه ليس مِن قول النّبي مُحَمّد (ﷺ)[٨٦]، ومِنها أنّه مِن أهم الأساليب النّافعة والمُناسِبة لأهل هذا العصر في دعوة غير المُسلمين إلى الإسلام[٨٧]، ومِنها تقوية إيمان المُسلمين وتعزيز ثقتهم بالقرآن الكريم وزيادة الاطمئنان في قلوبِهم في مواجهة التّشكيك والإرجاف المُثار حول القرآن[٨٨]، ومِنها الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى بالتفكّر بآياته والتّأمّل والنّظر بمخلوقاته[٨٩]، ومِنها أنّه يقود إلى تدبّر آيات القرآن واستخراج إشارات تُومِئُ إلى حقائق عِلميّة وإنْ لم تُسمّها باسمِها أو تبسط القولَ فيها[٩٠]، ومِنها أنّه يستنهضُ المسلمين ويُحفّزُهم على التّفكير ويُشجّعُهم على الأخذ بأسباب النّهضة العِلميّة[٩١].

الرّدُّ على الحُجّةَ الأولى: إنّ التّتبّع التّاريخيّ للتّفسير العِلميّ للقرآن يُثبتُ أنّ مضامينه وُجِدَت بوجودِ القرآن نفسه؛ فقد أشار القرآن الكريم في كثيرٍ مِن آياتِه المباركة إلى قضايا تخصُّ الكون، وخَلْقِ الإنسان، والنّبات، والحيوان، وغيرِها مِن الإشارات العِلميّة الّتي كان يجهلُها العربُ زمن النّزولِ وما قبلَه؛ الأمرُ الّذي استدعى بيانها وشرحها، وكان رسول الله (ﷺ) هو المُفَسّرُ الأوّلُ لمثلِ هذه الآيات، ليُبيّنَ للنّاس ما استعصى على أفهامِهم، ويُصحّحَ تصوّر المسلمين للكونِ والحياة، بعيدًا عن الخرافة والأساطيرِ الّتي ورثوها، وليحثّهم على التّفكّر في الكون والقرآنِ، ليتعلّموا ما ينفعهم في الدّنيا والآخرة.ومِن أمثلة اعتماد النّبي المعارف العِلميّة في التّفسير، تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٦]، إذ قال (ﷺ): "إذا أرادَ اللهُ أنْ يخلقَ النَّسَمة فجامعَ الرَّجلُ المرأةَ، طارَ ماؤه في كُلِّ عِرقٍ وعَصَبٍ مِنها، فإذا كانَ يَومُ

السّابع، أحضرَ اللهُ كُلَّ عِرقٍ بينَه وبينَ آدَم"[٩٢].وسار الصّحابةُ والتّابعون على هذا النَّهج، إذ فهموا مِن قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، أنَّ القرآنَ الكريم يحوي جميعَ العلوم، فقد وردَ عن عبد الله بن مسعود قوله: "مَن سَرَّهُ أنْ يعلمَ عِلمَ الأوّلين والآخِرين فَلْيتدبَّرِ القرآن"[٩٣].وبناءً على ذلك راحوا يُفَسِّرون الآيات الكونيَّة ويستنبطون مِنها العلوم والمعارف؛ وقد "وُفِّقوا كثيرًا في شرحهم لمعنى الآيات مع أنَّ حقائقها الكونيَّة كانت مُحتَجَبة، ومعلومٌ أنَّ المُفَسِّرَ الّذي يصفُ حقائقَ وكيفيّات الآياتِ الكونيَّة في الآفاقِ والأنفس وهي مَحجوبةٌ عن الرُّؤيَةِ في عصرِهِ قياسًا على ما يرى مِن المَخلوقات وفي ضوءِ ما سمع مِن الوَحي؛ يختلفُ عن المُفَسِّرِ الّذي كُشِفَت أمامه الآية الكونيَّة، فجمَعَ ما سمعَ مِن الوحي وبين ما شاهدَ في الواقع"[٩٤].فالإنسانُ –كما هو معلومٌ– ابنُ بيئتِهِ وعصرِه، تحكمُه الثقافةُ السّائدة، وتحدُّ فكرَه العلومُ والمعارفُ الشّائعةُ فيهما؛ وعلى الرَّغمِ مِن ذلك وصلتنا عنهم استنباطاتٌ واستدلالاتٌ عِلميَّةٌ مُبهِرة، وهذا ينقضُ تهمةَ التَّجهيل، على الرَّغمِ مِن تقيّد الرَّسول الأكرم(ﷺ) بقواعد البلاغة والخطاب الّتي تفرضُ الالتزام بمُقتضى الحال ومُراعاة المقام ومُخاطبة النّاس على قَدْرِ عقولِهم؛ لذا لم يتعمَّق في كشف تلك الحقائق العِلميَّة بما يصدمهم، واكتفى صلوات الله عليه بتفسير القَدر الّذي يفهمونه ويؤدّي المطلوب في نفوسهم وقلوبهم ولا يصدم عقولهم، تاركًا البيان العِلميّ الشّافي ليظهرَ في الزَّمن المناسب، فيكون مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[ص:٨٨].

الرَّدُّ على الحُجَّةُ الثّانية: الرَّدُّ على هذه الحُجَّة: إنَّ هذا الاعتراض ينطبقُ على جميعِ أنواعِ التَّفسير وفي كُلِّ العصورِ والأزمان، بما فيها عصر الرّسالة، فقد نقل لنا التّاريخ كثيرًا مِن الأسئلة الّتي وجَّهها الصَّحابة للنّبي مُحَمَّد(ﷺ) أو للعُلماءِ مِن الصَّحابة كعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود وغيرهم، هذا وهم في عصرِ الفصاحة وفي زمن التَّنزيل، وهذا يدلّنا إلى أنَّ مُصطلح العامّة والخاصّة مُصطلحٌ سائلٌ يندُّ عن الضَّبط، فقد يكونُ الشَّخصُ الواحد عالمًا في فنٍّ مِن فنون العِلم ويستوي مع العوامِ في فهمِه لفنونٍ أخرى، مِن أجلِ ذلك كانت علوم الدِّين –وعلى رأسِها القرآن– واجبًا كفائيًّا، تنهضُ له طائفةٌ مِن المُسلمين ليُعَلِّموا الباقين مِنهم، عَمَلًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التَّوبة:١٢٢].

الرَّدُّ على الحُجَّةُ الثّالثة: إنَّ حصر الخطاب القرآني بمخاطبة النَّفس والوجدان وبالحديث عن الغيبيّات إنَ ما هو افتراضٌ لا يصمدُ أمام النَّقد، ويتَّضحُ زللُه بأدنى بحث؛ فالخطابُ العَقليّ في القرآن يكادُ يهيمِن على الخطاب الوجداني الّذي يُحاكي النَّفس؛ فإذا سَلَّمنا بهدف القرآن الرّئيس المُتمثّل بإصلاح النَّفس فإنَّ هذا الهدف لا سبيلَ إلى تحقيقِه إلّا بمُخاطبة العقلِ وإقامة المُحاجَجةِ معه؛ مِن أجل حمله على التَّصديق والإذعان، ومِن ثَمَّ الإيمان بالله والعمل بشريعتِه الّتي تُهذِّبُ النَّفس وتُزكّيها، فالعقلُ أهمُّ طاقات الإنسان، وقد أقام الإسلامُ وعقائدَه على إدراك العقل وقناعته، وصار التَّكليفُ معقودًا عليه في المقام الأوّل؛ لذا رفع اللهُ التَّكليف عن العقلِ والمجنون.وقد دعا القرآن إلى إعمال العقل في أمورٍ مُهمّةٍ وخطيرة، تنفعُ الإنسانَ في دينِه ودُنياه، وأولاه عنايةً فائقة وحمَّلَهُ مسؤولياتٍ جِسام، ولأنَّ اللهَ لا يُكَلِّفُ الأشياءَ إلّا وسعَها، فإنَّ في ذلك دلالةً على أهميَّة العقلِ في القرآن.وقد أجادَ الأستاذ عبّاس محمود العقّاد في تبيانِ مكانة العقلِ في القرآن فقال: إنَّ "القرآنَ الكريمَ لا يذكرُ العقلَ إلّا في مَقامِ التَّعظيمِ والتَّنبيهِ إلى وجوبِ العَمَلِ بِهِ والرّجوعِ إلَيه، ولا تأتي الإشارةُ إلَيه عارضَةً ولا مُقتَضَبَةً في سياقِ الآية، بل تأتي في كُلِّ مَوضِعٍ مِن مواضِعِها مُؤَكَّدَةً جازمَةً باللّفظِ والدِّلالة، وتتكرَّرُ في كُلِّ مَعرضٍ مِن معارضِ الأمرِ والنَّهيّ الّتي يُحَثُّ فيها المُؤمِنُ على تحكيمِ عقلِه، أو يُلامُ فيها المُنكِرُ على إهمالِ عقلِهِ وقَبولِ الحَجرِ عليه، ولا يأتي تَكرارُ الاشارةِ إلى العقلِ بمعنىً واحدٍ مِن معانيهِ الّتي يشرحُها النَّفسانيّون مِن أصحابِ العلومِ الحديثة. بل هي تشملُ وظائفَ الانسانِ العقليَّةِ على اختلافِ أعمالِها وخصائصِها، وتتعمَّدُ التَّفرقةَ بين هذه الوظائفِ والخصائصِ في مواطنِ الخطابِ ومناسباتِه، فلا ينحصرُ خطابُ العقلِ في العقلِ الوازع؛ أي الّذي يحولُ بين صاحبِهِ وما يشتهيهِ على أساسٍ أخلاقيّ، ولا في العقلِ المُدرِكِ ولا في العقلِ الّذي يُناطُ بِهِ التَّأمّلُ الصّادق، والحُكمُ الصَّحيح، بل يَعمُّ الخطابُ في الآياتِ القرآنيَّةِ كُلَّ ما يَتَّسِعُ له الذِّهنُ الإنسانيّ مِن خاصَّةٍ أو وظيفة، وهي كثيرةٌ لا مُوجِبَ لتفصيلِها في هذا المقامِ المُجمَل، إذ هي جميعًا مِمّا يُمكِنُ أنْ يُحيطَ بِهِ العقلُ الوازعُ، والعقلُ المُدرِكُ، والعقلُ المُفَكِّرُ الّذي يَتولّى الموازنَةَ والحُكمَ على المعاني والأشياء"[٩٥].فبالعقلِ وحدَه يُصلِحُ الإنسانُ نفسَه، وبه يُحَقِّقُ خلافته في الأرض، فيعمرها بالعِلمِ النّافع، وبالعِلمِ يعرفُ حكمةَ الله وقدرته، فيغدو إيمانُه راسخًا؛ لأنَّ الإيمانَ العاقل خيرٌ مِن الإيمان الجاهل.كما إنَّ كون القرآن ليس كتابًا عِلميًّا بالمعنى الّذي ينطبقُ على كُتُبِ الكيمياءِ والفيزياءِ والرّياضيّاتِ –مثلًا– أمر مُسَلَّمٌ به ولا يخفى على أحد. ولكنْ، مِن المُسَلَّماتِ أيضًا، إخبار القرآنِ الكريم عن قضايا تخصُّ الكون والطَّبيعة والإنسان والحيوان والنّبات وبداية الخَلْقِ وغيرِها مِن المَسائلِ العِلميَّة، وحديث القرآن عن تلك المسائل يُحتِّمُ علينا دراستها وعدم تجاهلها.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ الرّابعة: إنَّ هذه الحُجَّة لا يُسَلَّمُ لها؛ لأنَّ القول بأنَّ سِمةَ العِلم الأصيلة فيه هي التَّغيّر هو قولٌ بلا دليل، كما أنَّ هذه الحُجَّة تقوم على مُغالطة، تكمن في كلمة (نظريّات)؛ فالقائلون المُعتدِلون بالتَّفسير العِلميّ يشترطون اعتماد الحقائق العِلميَّة في التَّفسير واستبعاد الفروض والنَّظريّات، والبون شاسعٌ بين الحقيقة والنَّظريَّة كما قرَّرنا ذلك في التَّمهيد، ومِن الحقائقِ العِلميَّة الثّابتة كرويَّة الأرض(٩٦)، ودورانها حول الشَّمسِ ودوران القمرِ حولَها، وأصل الحياة مِن الماء، وتطوّر الجنين في بطنِ الأم(٩٧)، فهذه المسائل أضحت مِن الحقائق الّتي لا يَشِكُّ فيها إلّا المُعاندون.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ الخامسة: الرَّدُّ على هذه الحُجَّة: تتَّفقُ كلماتُ القائلين بالتَّفسيرِ العِلميّ جميعهم على أنَّ القرآنَ الكريم كتابُ هدايةٍ للنّاس وليس كتابًا عِلميًّا مُنشغِلًا بالتَّفصيل في مسائل العلوم وذِكرِ دقائقِها، وأنَّ الإشارات العِلميَّة فيه لم تكن مقصودة لذاتِها ولا هي الطّابع السّائد في القرآن، وإنَّما أوردَها الحَقُّ –سُبحانه– لتدعم العقائد وتُعَضِّدَ الإيمان، ولتكون مُعجزةً مِن معاجزِه، تُناسبُ زمنًا غيرَ زمن التَّنزيل، وتُخاطِبُ قومًا لا تُقنعهم علومُ البيان، فتدفعهم للتَّصديقِ والإيمان، فهي ليست عبارات إنشائيَّة للموعظة والتَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ فحسب، بل هي إخبارٌ عن الكونَ وما يحويه، وحيثُ أنَّها خبرٌ مِن الحقّ –سُبحانه– فلا بُدَّ أنْ تكونَ حاملةً لحقائق؛ فالقرآن الّذي لا يهملُ النَّفسَ في بابِ الإنشاء لا يزلُّ في باب الخبر، وقد قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فُصِّلَت:٥٣]، وقد قال الشَّوكانيّ في تفسيرِها: "سنُريهم دلالات صِدق القرآن، وعلامات كونِه مِن عند الله، في الآفاقِ وفي أنفسهم"(٩٨).وعليه، لا يصحُّ تجاهل الإخبار الصَّريح مِن لدن القرآنِ الكريم عن الكون وظواهره وما يحويه، بدعوى أنَّ القرآن لم ينزل للحديثِ عنها وإنَّما لتهذيب النَّفس وتنقية الرّوح وتحقيق الهداية، فهذا تكلُّفٌ في صرفِ تلك الإشارات الكونيَّة عن ظاهرِها مِن دون قرينة؛ والصَّحيح أنَّ مُجرّد ذِكرِ القرآنِ لها يُوجِبُ دراسَتَها وبحثَها، ولا سيما بعد أنْ أصبحت تلك المسائلُ مادةً للبحث والدّرس في المؤسَّسات العِلميَّة ومراكز الأبحاث؛ لذا ينبغي التسلّح بتلك العلوم لردِّ الشُّبُهاتِ حولَها، وبيانِ التّطابُقِ بين إشاراتِ الآياتِ ومُقرَّراتِ العِلمِ بخصوصِها، وتوظيفِ العلومِ في الكشفِ عن معاني القرآنِ الّتي لن تُفهَمَ إلّا في ضوئِها وعن طريقِها.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ السّادسة: ينبغي الفصل بين المواقف الذّاتيَّة والأبعاد الأيديولوجيَّة وبين الحقيقة العِلميَّة الثّابتة. ثُمَّ ينبغي عكس هذه الحُجّة على أصحابِها، كما ينبغي عكسها على هؤلاء الجاحدين والمُلحدين؛ أمّا عكسُها على أصحابِها القائلين بها فيكون –بعد فرض التَّسليم بصحّة دعواهم– بوجوب الإلمام بتلك العلوم في سبيل العمل على دحضِها ونقضِها إنْ كانت مُجانبة للحقيقة العِلميَّة أو كشف التّدليس الّذي قد يُمارسونه في تزييف الحقائقِ أو إخفائها.أمّا عكسها على الجاحدين والمُلحدين فيكون بإلزامِهم بما ألزموا به أنفسهم؛ فلمّا اختاروا العِلم ليكون حَكمًا ومِعيارًا لصحّة الدِّين مِن عدمِه، وجَبَ إلزامُهم بما اكتشفوه هم أنفسُهم وثبتَت مُطابقتُه لِما جاء في القرآنِ الكريم قبل أربعةَ عشرَ قرنًا، وهذا هو الإعجازُ بعينِه، ولا سبيل إلى الوصول إلَيه إلّا بتوظيف العلوم في التَّفسير، وبذلك يكون التَّفسير العِلميّ المُنضبط، هو السَّبيلُ الأمثل لردِّهم أو دعوتهم للحق.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ السّابعة: إنَّ الّذين حصروا التَّحَدّي والإعجاز بالبيان بدعوى أنَّه كان تحدّيًا للعربِ بما كان مِن جِنسِ علومِهم الّتي يُجيدونها ويُتقنونها، غفلوا عن حقيقةِ أنَّ القرآن لم يكُن مُوَجَّهًا للعربِ فقط، بل إنَّ مِن أهمّ خصائصِ القرآن أنَّه عامٌّ لِكُلِّ البشر وعلى مرّ الأزمنة والعصور، والبيان وحدَه لا يُحقِّقُ له هذه الخاصيَّة؛ فإذا كان العربُ اليوم لا يُجيدون البيان –فضلًا عن إتقانِه– فما بالك بالأمَمِ الأخرى؟كما أنَّ حصر التّحدّي والإعجاز في البيان فيه تضييقٌ لأمرٍ فيه مُتَّسَع، وتحجيمٌ لعظمةِ القرآن بلا دليلٍ ومِن دونِ قرينةٍ، ولم يدفعهم لهذا الموقف إلّا مُتابعَةُ السَّلفِ الّذين اختاروا أنْ يكونَ القرآنَ مُعجِزًا في بلاغته أو في أسلوبِهِ أو في نظمِه، بناءً على علمٍ كانَ مُستحدَثًا في عصرِهم؛ أعني عِلمَ البلاغة؛ فهذا العِلم وإنْ كانَ مُستنبطًا مِن ثقافة العرب إلّا أنَّه كان عِلمًا حادثًا في وقتِه، أنتجته اجتهادات العُلماءِ ولم يَكُنْ مُنزَلًا مِن السَّماء، فلماذا يُجيزون توظيفِه في الكشفِ عن معاني القرآن ويقبلونه مِعيارًا لإعجازِه ويمنعون العِلمِ التَّجريبيّ مِن أداءِ الوظيفةِ نفسِها وفي آياتٍ مَحدودة لا يكشفُ معناها ويجلي مقاصدَها إلّا العِلم؟وما تقدَّم لا يعني القول بحصر التَّحدّي والإعجاز في العِلم، بل يعني القول بتعدّد وجوه الإعجاز، يُظهرُ الله في كُلِّ عصر وجهًا مِن وجوهه يتناسبُ مع أهل ذلك العصر؛ فكان البيانُ تحدّيًا للعربِ بما برعوا به وأتقنوه وقد عجزوا على أنْ يأتوا بمثل القرآن في نظمِهِ وأسلوبِه وبلاغتِه؛ وفي هذا العصر الّذي برع أهلُه بالعلومِ تكشَّفَت إشاراتُ القرآن الّتي كان يجهلُها النّاس، وشكّلت تحدّيًا لِكُلِّ البشر على أنْ يأتوا بمثلِه ومِن دونِ التَّفريطِ ببقيَّةِ خصائصه ووجوه الإعجاز فيه، ومِن ثَمَّ يُمكن ضمّ وجوه الإعجاز إلى بعضِها، فيكون التَّحدّي بالمُشابهة أو المُماثلة شاملًا لما في القرآنِ الكريمِ مِن إشاراتٍ عِلميَّة، وإخبارٍ عن غيبِ الماضي والمُستقبَل ومِن حيث بلاغتِه وأسلوبِه وعجيبِ نظمِه(٩٩).

الرَّدُّ على الحُجَّةُ الثّامنة: إنَّ هذه الحُجَّة قائمة على المُغالطة، وهي مِن ادّعاءات المُستشرقين الّتي لا تستنِدُ إلى دليل، بل توجَدُ شواهد قاطعة على تكذيبِها والبرهنةِ على ما يُعاكسها؛ مِنها أنَّ القرآن الكريم أخبر عن حقائق عِلميَّة لم تكن معروفة قبل زمن النّزول، مثل الأصلّ الدّخانيّ للسَّماء؛ فبعض "هذه الإشارات كان جديدًا على أولئك المُخاطَبين بالقرآن أوَّلَ مَرَّة، لا يعرفون أسرارَها، أو لا يَعرفون تفاصيلَها، وقال لهم الله في كتابِهِ المُنزَّل إنَّهم سيعرفونَها ذات يوم... فأمّا الّذين آمَنوا فأخذوا هذه الإشارات بالتَّسليم، وإنْ كانوا لا يعرفون كُلَّ شيءٍ عنها، ما دامَت مِن عندِ ربّهم الّذي آمَنوا بهِ وصدَّقوه"(١٠٠).ومِنها أنَّ القرآن أخبر عن حقائق عِلميَّة مُخالِفة لما هو شائعٌ ومعروفٌ في مُحيطِه الّذي نزل به، أي في الجزيرة العربيَّة وما جاورَها، مثل القول بكرويَّة الأرض الّتي قال بها اليونانيّون ورفضها العربُ ومَن جاورَهم مِن المسيحِ والسِّريان.ومِنها عرض القرآن لمسألةِ ترتيب الخلق بخلاف ما جاء في الموروثِ السّابقِ والكُتُبِ المُقدّسة: التّوراة والإنجيل والتَّلمود، وهي الكُتُبُ والحضارات الّتي قال المُستشرقون بأنَّها مصدر القرآن في قصصه وأخباره وشرائعه وأفكاره(١٠١).ومِنها مُخالفة المعلومات والأفكار الشّائعة عند العرب بما يخصّ الطَّبيعة والكون، كقولهم أنَّ الأرضَ قائمةٌ على الأرض.إذن، على الرَّغمِ مِن كثرة الآيات الكونيَّة في القرآن إلّا أنَّه لم يُردّد خرافات السّابقين، ولم يُخبِر بشيءٍ أثبتَ العِلمُ –لاحقًا– خطأه، وهذا هو الإعجازُ العظيم، وبذلك يقول الدّكتور فهد الرّوميّ: "وقد يحسبُ أحدٌ أنَّ السَّلامةَ مِن مصادَمةِ الحقائِقِ العِلميَّةِ أمرٌ هَيِّنٌ، فما على المُتَكَلِّمِ إلّا أنْ يَتجنَّبَ الخوضَ في مجالاتِها، ويَحذرَ مِن الوقوعِ في مُبهماتِ العلومِ وغوامضِ المَعارفِ وأسرارِ الكونِ وخفايا العِلم، وبِذا يظفَرُ بهذه السِّمَة. والأمرُ حَقٌّ لو كانَ القرآنُ سلكَ هذا المَسلك، لكنَّه وقد أُنزِلَ قبلَ أربعةَ عشرَ قرنًا مِن الزَّمَن عرضَ لكثيرٍ مِن مظاهرِ هذا الكون، كخلْقِ السَّمواتِ والأرضِ وخَلْقِ الإنسان، وسَوْقِ السُّحُبِ وتراكمها، ونزولِ المَطر، وجَرَيان الشَّمس، وتحدَّثَ عن القمرِ والنّجومِ والشُّهُبِ وأطوارِ الجَنين، وعن النَّباتِ والبِحارِ وغيرِ ذلك كثير، ومع ذلك كُلِّهِ لم يُسقِط العلمُ كلمةً مِن كلماتِه، ولم يُصادِمْ جزئيَّةً مِن جُزئيّاتِه، فإذا كان الأمرُ كذلك، فإنَّ هذا بِحَدِّ ذاتِه يُعتَبَرُ إعجازًا عِلميًّا للقرآن"(١٠٢). إنَّ عدم تعارض القرآن مع صحيح العِلم بالرَّغم مِن وجود تلك المُحفّزات السياقيَّة الّتي قد تدفعُ للوقوعِ في الخطأ العِلميّ ومُتابعةِ الخرافات يُعَدُّ مِن أكثرِ دلائِلِ إعجازه، وهذا اللّونُ مِن الإعجاز لا ينبغي أنْ يُطلَقَ جُزافًا مِن دون بحثٍ وتعمّقٍ في استكناه نصوص القرآن والكشفِ عن مضامينِها العِلميَّة، في عمليَّةٍ تفاعليَّةٍ مع علومِ العصرِ واكتشافاتِه، مع ضرورةِ الالتزام بضوابطِ التَّفسيرِ المعروفة.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ التّاسعة: إنَّ هذه الحُجَّةَ تحملُ معها نقضَها مِن جهتَين؛ **الأولى:** إنَّ أهم ثمَرَة مرجوّة مِن الإعجاز هي إثبات المصدر الرّبانيّ للقرآن، وأنَّه وَحيٌ مِن الله وليس مِن تأليفِ النَّبي مُحَمَّد(صلى الله عليه وسلم)، وإثبات ذلك يترتَّبُ عليه إثباتُ نبوّة مُحمَّد(صلى الله عليه وسلم)، وأيُّ نتيجةٍ أكرمُ مِن هذه أو أعظم! فلو جنَينا هذه الثَّمرة لكان هذا هو الإعجازُ بعينِه.

والأخرى: أنَّ الوصول إلى إثبات الإعجاز العِلميّ للقرآن الكريم لا يتمُّ إلّا عن طريقِ التَّفسيرِ العِلميّ؛ فهو قاعدتُه الّتي يستندُ عليها، ومُقدّمةُ دراستِه الّتي لا يستغني عنها الدّارسون والمُفَسِّرون، سواءٌ كانوا مؤمنين بوجودِ الإعجازِ العِلميّ في القرآنِ أو مُنكرين له؛ فالقبول أو الرَّفض لا يتمّانِ إلّا على أساسِ الدَّرسِ الدَّقيقِ والبحثِ العِلميّ المُستندِ إلى منهجٍ مُحكَمٍ له أصوله وقواعدُه واشتراطاتُه؛ والإعجازُ هو الموضوع والتَّفسيرُ هو المنهج –كما قرَّرنا سابقًا– وبذلك يكونُ رفضُ التَّفسيرِ العِلميّ رفضًا لمُقدّمَةِ البحث في الإعجاز، ونقضًا للقاعدةِ الّتي يستندُ عليها، ومِن ثَمَّ ينسحبُ هذا ذلك الرَّفضُ وهذا النَّقض إلى الإعجازِ نفسِه، مِن دونِ بحثٍ مَنهجيٍ ولا دليلٍ عِلميّ، وهذا الاضطرابُ المَنهَجيّ مِن أكبر المآخذِ على فئةِ المُحترزين؛ فاعترافهم بوجود الإعجاز العِلميّ في القرآنِ الكريم لم يُبقِ قيمةً لِكُلِّ حُجَجِهم في رفضِ التَّفسيرِ العِلميّ، بل يأتي على بنيانِهم مِن القواعدِ.كما أنَّ الإعجازَ يكمنُ في السَّبق؛ أي سبق القرآن الكريم إلى تلك العلوم بنحو ثلاثة عشر قرنًا أو يزيد. ولكنْ لو سلّمنا وتنزّلنا وقبلنا بانتفاء الإعجاز بسببِ وصولِ البَشَرِ إلى مَعرفةِ تلك العلوم فينتقضُ كونها خارقةً للعادةِ وسالمةً مِن المُعارضة، أقول: لو سَلَمنا بذلك كُلّه، ألَا يُمكنُ أنْ نعكس الحُجَّة فنقول: إنَّ الإعجازَ يكمنُ في عدمِ قدرةِ الجاحدين على اكتشاف تناقضٍ عِلميّ بين القرآنِ ومُكتشفاتِ العِلمِ الحديث؟ وهذا يؤدّي إلى النَّتيجةِ ذاتِها.وأجاد أحدُ الباحثين في مُناقشة هذا الاعتراض فقال: إنَّ "جوابَ الاعتراضِ السّابق ظاهرٌ في بيانِ حقيقةِ أنَّ كلمةَ (إعجاز) حادثة، لم تَرِدْ في آيةٍ ولا حديث. وقد تطوَّرَ معنى مصطلح (معجزة) في المكتبة الإسلاميَّةِ ليغدوَ اليوم في لسانِنا الدّارج المُقابل العربيّ لمصطلح "miracle" في الإنجليزيَّةِ والفرنسيَّة؛ أي الخارقةُ المُفارقةُ للسُّنَنِ الكونيَّة دونَ شرطِ التَّحدّي، وتقييد المُعجزة –بالمعنى المُعاصر– عندها بالتَّحدّي لتكونَ حُجَّةً على النّبوّةِ ضعيف؛ فإنَّ القصدَ بالمعجزةِ هنا –في الخبر العِلميّ– هو ما يُقابلُ مُطلق "الآية" في الاصطلاحِ القرآنيّ، لا "المعجزة" في الاصطلاحِ الكلاميّ. فيكفي أنْ تظهرَ الخارقةُ الّتي لا يؤتاها البَشَرُ بالتَّعلُّمِ أو السِّحرِ على يَدِ رَجُلٍ يَنسِبُ نفسَه إلى النُّبوّة، ويكونُ مُتَلَبِّسًا بأعراضِها الخُلُقيَّةِ ومضامينِها الخَيِّرة؛ حتى تكونَ الخارقةُ حُجَّةً لِنبوّتِه"(١٠٣).هذا وقد مالَ ابن عاشور إلى أنَّ التَّحدّي حاصلٌ بالإعجاز العلمي، وإنْ كان بشكلٍ خفيٍّ غير صريح، فقال: "وهذه الجهةُ مِن

الإعجازِ إنَّما تثبُتُ للقرآنِ بمجموعِهِ، أي مجموع هذا الكتاب، إذ ليستْ كُلُّ آيةٍ مِن آياتِهِ، ولا كُلُّ سورةٍ مِن سُوَرِهِ ، بمُشتملَةٍ على هذا النّوعِ مِن الإعجاز، ولذلك فهو إعجازٌ حاصلٌ مِن القرآنِ وغيرُ حاصلٍ بِهِ التَّحدّي، إلّا إشارةً نحو قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]"[١٠٤]. وبذلك فإنَّ ابن عاشور يرى أنَّ الإعجاز العِلميّ وجهٌ مِن أوجه التّحدّي، يقومُ على طلبِ إثباتِ مُخالفةِ القرآن للعِلم، فيُستَدَّلُ بذلك على مصدره الرَّبّانيّ.

الرَّدُّ على الحُجَّةُ العاشرة: هذا الاعتراضُ وَجيهٌ جِدًّا، لكنَّه ينطبقُ على فئةِ المُوَسِّعين دون غيرِهم، أولئك الّذين تحمَّسوا لهذا المَنهج، فأصابَ تطبيقاتِهم الشَّطَطُ والغلوُّ والمُبالغة، ولا سيَّما الشَّيخ طنطاوي جوهريّ الّذي كان سببًا رئيسًا في النَّظرة السَّلبيَّة لهذا التَّفسير، ومُسبّبًا في رَدّةِ الفعلِ تجاهه.إنَّ جميعَ هذه الاعتراضات والحُجَجِ، ولا سيّما الحُجَّةُ الأخيرة، أسهمَت بشكلٍ فاعل في ضبط منهج التَّفسير العِلميّ، وحدَّت بشكلٍ كبيرٍ مِن حماس القائلين به وكبحت جماحَهم، فلولا فئةُ المُعترضين لساد الغلوُّ والمبالغة في تطبيقات هذا المَنهج، الأمرُ الّذي تنبّه له مناصرو التَّفسير العِلميّ، فأفادوا مِن بعضِ تلك الاعتراضاتِ والحُجَج في سنّ ضوابط وقواعد تحكم عمل المُفَسِّر، وترسمُ له حدوده الّتي لا ينبغي له تجاوزها، وهذا ما سيختصُّ به المطلب الثّاني مِن هذا المبحث –بإذن الله–إذن، فالرّدُّ على هذه الحُجَجُ لا يُقَلِّلُ مِن شأنِها ولا يحطُّ مِن قيمةِ أصحابِها، إنَّما هي وجهاتُ نظر، بعضُها جانبَ الصَّواب وبعضُها احترازاتٌ أكثرُ مِنها اعتراضات، لذا كان مِن الأوْلى بأصحابِها ضبط المنهج بقوانين تحكمه بدلًا مِن رفضِ المنهج برُمَّتِه بدعوى الاحتراز، مِن دون النَّظرِ إلى قيمتِه وفوائدِه والأسبابِ المُوجبةِ له، وهو ما تنبَّه له المُعتَدِلون –كما تقدَّم– فجمعوا بين الاحترازِ والإنجاز، وأبدعوا في كثيرٍ مِن تطبيقاتِهم، وتطوَّر العملُ في هذا اللّون مِن التَّفسير، وأخذ طابعًا مؤسَّسيًا، مثل الهيأة العالَميَّة للإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة[١٠٥]، وغيرِها مِن المؤسَّسات الّتي ظهرت في مطلعِ القرن الخامس عشر الهجريّ وإلى يومِنا هذا.ويُمكِنُنا القول: "إنَّ أكثرَ التَّفاسيرِ والمُؤَلَّفاتِ المُتَعَلِّقةِ في علومِ القرآنِ الّتي ظهرَتْ في هذه الفترة؛ اعتنت بالآياتِ الكونيَّةِ في القرآنِ وذِكرِ إشاراتِها العِلميَّة وحُكمِ التَّشريعِ في المأكولاتِ والمشروباتِ المُحَرَّمَة، وأبرزُ التَّفاسيرِ الّتي اعتنتْ بالآياتِ الكونيَّة في القرآن: المُنتخَبُ في تفسيرِ القرآنِ الكريم، الصادرُ عن المجلسِ الأعلى للشّؤونِ الإسلاميَّةِ التّابعِ لوزارةِ الأوقافِ في مِصر، إذ شكَّلت لجانًا عِلميَّةً مُتخصِّصَةً في مُختَلَفِ العلوم، يتناولُ كُلٌّ مِنهم الآياتِ القرآنيَّة المُتَعَلِّقة باختصاصِهم، ويُعلِّقون عليها ليتوفَّروا على تأليفِ هذا التَّفسيرِ بأسلوبٍ عَصريٍّ سَهلٍ مُبَسَّطٍ واضحِ العبارة، وكانت الطَّريقةُ العامَّةُ في التَّفسير هي تفسير الآياتِ بشكلٍ مُوجَزٍ بسيطٍ سهلٍ مُجمَل، ولكنْ عندَ الآياتِ الّتي ترى فيها اللّجانُ أنَّها تَحوي إشاراتٍ أو إعجازًا عِلميًّا يُفَسِّرونَها، ثُمَّ يُعلَّقُ على تَفسيرِها في الحاشيةِ ما تَضَمَّنَتهُ الآيةُ مِن إعجازٍ عِلميٍّ أو تَفسيرٍ عِلميّ، وغالبًا ما يَتَصَدَّرُ هذا التَّعليق القول: قال الخبراء"[١٠٦].أقول: هذا النّضجُ ما كان ليكون، أو لتأخَّرَ زمنًا، لولا اعتراضات المُحترزين، ولولا انحرافاتُ المُتحمّسين، الّتي كانت مُنبّها للعُلماء، ومُحَفِّزًا لهم على تقنين التَّفسير العِلميّ وصياغة الضّوابط الّتي تحكمه.

المطلبُ الثّاني: ضوابطُ التَّفسيرِ العِلميّ

تُعَرَّفُ الضَّوابطَ بأنَّها: "القواعدُ الّتي تُحَدِّدُ مَسارَ بحوثِ الإعجازِ العِلميّ وفق الأصولِ الشَّرعيَّة المُقَرَّرَة، مع الالتزام بالجوانبِ الفنيَّةِ والعِلميَّة"[١٠٧]أوهي: "مجموع القواعد العِلميَّة الّتي يَجِبُ على المُفَسِّرِ الالتزام بها في التَّفسيرِ العِلميّ"[١٠٨]. والتزامُ هذه الضّوابط يُسهِمُ في إنهاء الخلاف الدّائرِ بين المُؤَيّدين للتَّفسيرِ العِلميّ والمُعارضين له؛ لأنَّ جوهر الخلاف بينهم ناشئٌ مِن أخطاءِ بعضِ المُفَسّرين الّذين لا يتقيّدون بمنهجٍ صحيح، فيغلبُ في عملهم الحماسة والارتجال.وهذه الضَّوابط بعضُها يتعلَّقُ بالباحثِ نفسِه، مِن حيث الأهليَّةِ والصّفات الّتي يجبُ توافرها فيه، وما يحتاجُ إليه مِن أدوات. وبعضُها يتعلَّقُ بالبحثِ العِلميّ مِن حيث الشروط العِلميَّة الّتي ينبغي مراعاتها في التَّفسيرِ العِلمي. ويُمكنُ إيجازها بالآتي:

١– يجبُ أنْ يَتَّصِفَ المُفَسِّرُ بالعدالةِ، والتَّجرُّدِ، وإخلاصُ النِّيَّةِ، والأهليَّة العِلميَّة، وأنْ يمتلك قناعةً تامَّةً بالبحثِ الّذي يشتغلُ عليه، وأنْ يكونَ مُتابعًا بدقّةٍ وهِمَّةٍ عالية لمُستجدّات العلوم، مُتَّصِفًا بالرَّويَّةِ والاعتدال[١٠٩].

٢– إلمامُ المُتَصَدّي للتَّفسيرِ العِلميّ بجملةٍ مِن العلوم الّتي تُعين في فهمِ النَّص القرآني؛ مِنها علومٌ تخصُّ كُلَّ مُفَسِّرٍ بالرّأي، ومِنها علومٌ خاصّةٌ بالمُفَسِّرِ العِلميّ؛ كعلومِ اللّغة والنَّحو والصَّرف والبلاغة والقراءات، وعِلمِ أصولِ الدِّين، وعلومِ القرآنِ: كأسبابِ النّزول والقَصَصِ والنّاسخِ والمَنسوخ، وعلومِ الحديث، والتّاريخ[١١٠].

٣- مُراعاة التَّخصّص العِلميّ الدَّقيق: بأنْ يكونَ المُفَسِّرُ نفسُه مُختَصًّا في مجال بحثِه، أو يرجعُ إلى المصادرِ المُعتبرة والموثوقةِ في التَّخصّصِ المدروس، أو يرجعُ إلى العُلماءِ والمُختصّين فيه، وأنْ يسيرَ البحثُ على وِفقِ خِطَّةٍ مَدروسةٍ ومَنهجٍ مُحَدَّد؛ لتجنُّبِ الخَلَلِ العِلميّ الّذي يُؤدّي إلى خلَلٍ بالتَّفسير(١١١).

٤- أنْ تكونَ الإشارةُ العِلميَّة في الآياتِ القرآنيَّةِ واضحةً وجليَّة لا مِرْيَةَ فيها، مِن دونِ تَكلّفٍ أو تَعسّفٍ في ربطِها بالحقيقةِ العِلميَّة(١١٢).

٥- جَمع النّصوص القرآنيَّةِ المُتعلّقةِ بالموضوع الواحد، والتّأكّد مِن عدمِ التّعارضِ بينها، وردِّ بعضها إلى بعض مِن أجلِ فهم دلالةِ كُلٍّ مِنها في ضوءِ الآخر؛ فالقرآنُ يُفَسِّرُ بعضُه بعضًا، وكذلك جمع القراءات الصَّحيحة المُتَعَلِّقة بالموضوع الواحدِ إنْ وُجِدَت، ومعرفة ما يتعلَّق بالموضوع مِن سببِ نزولٍ أو ناسخٍ ومنسوخ(١١٣).

٦- يجبُ تفسير معاني الآياتِ الكونيَّةِ على وفق دلالات الألفاظ في اللّغةِ العربيَّة؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ نزلَ بهذه اللّغة، لذا وجبَ التَّقيّد بقواعدِها وأساليبِها في التَّعبير، فلا يجوز الخروج باللّفظِ مِن الحقيقةِ إلى المَجاز إلّا بقرينةٍ دالّة، كما لا يجوز تحكيم المُصطلحات العِلميَّة السّابقة أو اللّاحقةِ للقرآن في عمليَّةِ التَّفسير، بل يجبُ أنْ تؤخذَ مِن لسان العربِ ولغةِ القرآن(١١٤).

٧- مراعاة سياق النَّصّ القرآنيّ المُتعلّق بالقضيّةِ العِلميَّةِ، وعدم اجتزائه عَمّا قبله وما بعده ليُوافِقَ الحقيقةَ العِلميَّة(١١٥).

٨- الاقتصار على توظيفِ الحقائقِ العِلميَّة القطعيَّة في تفسيرِ الآيات، والابتعاد عن توظيفِ الفروضِ والنَّظريّات الّتي لم ترقَ إلى مصاف الحقيقةِ العِلميَّة(١١٦).

٩- عدم قصر دلالة الآية على حقيقةٍ عِلميَّةٍ واحدة، أو على ما تكشَّفَ للمُفَسِّرِ مِن حقائق؛ فقد تدلُّ الآية على أكثر مِن حقيقةٍ عِلميَّة قد تظهرُ لغيرِه مِن المُفَسِّرين، فالقرآن لا تنقضي عجائبُه ولا يخلقُ على كثرةِ الرَّد، كما يجبُ عدمُ إلغاءِ أقوالِ السّابقين. ويجبُ أيضًا التَّنبيه على أنَّ التَّفسير العِلميّ مُحاولةٌ بشريَّة ناتجة عن اجتهادِ المُفَسِّرِ في فهمِ دلالة الآيةِ والرَّبط بينها وبين الحقيقة العِلميَّة، والإنسانُ يُخطِئُ ويُصيب، ومِن ثَمَّ لا ينبغي تحميل أخطاء التَّفسيرِ العِلميّ لقضيَّة الإعجازِ العِلميّ في القرآن(١١٧).

١٠- أنْ لا يُخالِفُ التَّفسيرُ مسألةً مقطوعًا بها في الشَّريعة(١١٨).

١١- عدم الخوض في الغيبيّات المُطلَقة، مثل البحث في الذّات الإلهيَّة، والملائكة، وقيام السّاعة والبعث، والجنّةِ والنّار، فتلك القضايا مِمّا لا سبيل إلى إدراكِها بالعِلم(١١٩).

١٢- الحرص على عدم الدّخول في التّفاصيل العِلميَّة الدَّقيقة لبيان وجه الإعجازِ في الآية، مثل استعمال المُعادلات الرّياضيَّةِ المُعقَّدة أو الرّموز الكيميائيَّة الدَّقيقة(١٢٠).

١٣- الابتعادُ عن تَسفيهِ آراءِ السَّلَفِ مِن عُلماءِ التَّفسيرِ أو رميهم بالجَهلِ، أو التَّقليلُ مِن جهودِهم في محاولةِ فَهمِ الآياتِ الكونيَّة؛ لأنَّ الأدوات العِلميَّة المتوافرة والمعارف المُنتشرة في هذا العصر لم تكن موجودةً في زمانِهم، فكان فهمهم بحسبِ ما يمتلكونه مِن معارف كفيلٌ ببيان عظمةِ القرآنِ لأهلِ زمانهم؛ لأنَّ القرآنَ يُخاطبُ كُلَّ البشرِ وفي مُختلَفِ العصور(١٢١).وتجبُ الإشارة إلى أنَّ هذه الضّوابط لا تهدفُ إلى الحجر منع الباحثين مِن التّدبّرِ في القرآنِ أو التَّفكُّرِ بآياتِ الله، بل المراد مِنها ضبط عمليَّة التَّفسير، وتقنين عمل الباحثين؛ كي لا يكونَ عملُهم ارتجاليًّا، وليتجنَّبوا الوقوع في الزَّلَلِ، ولتكبحَ جماحَ المُغالين وتحدَّ مِن حماسِهم، وبذلك ننالُ الحُسنَيين معًا؛ لم نُعطِّل الآياتِ الكونيَّة برفض التَّفسيرِ العِلميّ، ولم نطلق العنان لِمَن هبَّ ودبَّ ليُبديَ رأيَه في تلك المسائل العِلميَّةِ الخطيرة فيُسيءُ للقرآنِ أكثر مِمّا ينفع.

الخاتمة

الحمدُ لله الّذي وفّقَني لخدمةِ كتابِه الكريم باختيارِ هذا البحث، ويسَّرَ ليَ ما تعسَّر، وأعانَني على إتمامِه، وبعد خِتامِه أوجِزُ أهمَّ نتائِجِه:

١- إنَّ تعريفاتِ التَّفسيرَ العِلميّ تُمَثِّلُ نظرةَ أصحابِها لهذا اللّون مِن التَّفسير، وقد تباينَت تلك التَّعريفات في ضبط المُصطلح، وقد انتخبت الباحثةُ تعريف الشَّيخ عبد المجيد الزّنداني.

٢- الخَلطُ الواضحُ لدى الكثير مِن الباحثين بين التَّفسير العِلميّ للقرآن الكريم والإعجاز العِلميّ فيه، وترتَّبَ على هذا الخلط رفضُ الإعجازِ أو انتقاده، وكان المُرادُ رفضَ التَّفسيرِ العِلميّ أو رفضَ بعضِ تطبيقاتِه.

٣- إذا استعرنا عناصر البحث العِلميّ المعروفة، فإنَّ التَّفسيرَ العِلميّ هو المنهج، والإعجاز هو الموضوع، وإثباته مِن عدمِه هو النَّتيجة، وأنَّ الحُكمَ على الإعجازِ قبولًا أو رفضًا لا يتمُّ إلّا بوساطةِ التَّفسيرِ العِلمي؛ فهو قاعدته الّتي يستندُ عليها، والمُقدّمةُ الضَّروريَّةُ لدراستِه، ورفضه يعني رفضَ التَّفسيرِ بدونِ دليلٍ عِلميٍّ ولا بحثٍ مُعتبَرٍ مستَنِدٍ إلى منهجٍ مُحكَم.

٤- إنَّ مُصطلَحَي: التَّفسير العِلميّ، والإعجاز العِلميّ شاعا وانتشرا واستقرّا بمفهومهما الّذي نعرفه اليوم في القرن الرّابع عشر، إلّا أنَّ البحث أثبتَ أنَّ مضمونهما وُجِدَ بوجودِ القرآنِ نفسِه، وكان رسولُ الله (ﷺ) أوَّلَ مَن عملَ به، وتابعه في ذلك الصَّحابةُ وبعضُ المُفَسّرين القُدامى؛ مثل الغزاليّ والرّازيّ والسّيوطيّ، الّذين قالوا به وطبّقوه في كتبهم وتفاسيرهم. كما أنَّ رفض بعض المُفَسّرين القدامى لهذَين المُصطلَحَين يُستَدَلُّ به على شيوعِه في زمنِهم، وكان الشّاطبيّ على رأسهم.

٥- انقسمَ العُلماء في تقبّلهم للتَّفسيرِ العِلميّ على فئاتٍ أربع تتوزّعُ على فَريقَين: فريقُ الرّافضين الّذي يضمُّ فئةَ المُعَطِّلين وفئةَ المُحترزين. وفريقُ المُوافقين الّذي يضمُّ فئةَ المُوَسّعين وفئةَ المُعتدلين.

٦- أثبتَ البحثُ: أنَّ المُعطِّلين والمُوَسّعين لم يكونا على صوابٍ في موقفهما، مع إيماننا بحُسنِ نواياهم وصلاح سريرتهم، وكبير إخلاصهم للدِّينِ، وحرصِهم على القرآن. أمّا المُحترزون فقد وقعوا في التّناقضِ في رفضهم التَّفسير العِلميّ وإثباتهم الإعجاز، ولكنْ كان لملحوظاتِهم واعتراضاتِهم أثرًا كبيرًا في ضبطِ مسيرةِ التَّفسيرِ العِلميّ، وهو ما تبنّاه المُعتدلون في تنظيرهم وتطبيقهم للتَّفسيرِ العِلمي للقرآنِ وبيانِ الإعجازِ فيه.

٧- بوحيٍ مِن اعتراضاتِ المُحترزين، وبسببٍ مِن خطأ تطبيقاتِ المُوَسّعين، انبرى عددٌ مِن العُلماءِ الغيورين على القرآنِ إلى وَضعِ مجموعةٍ مِن الضَّوابط؛ لتضبطَ مسيرةَ التَّفسيرَ العِلميّ، وتضعَ المواصفات العِلميَّة لأهليَّة المُفَسِّر؛ فيكون العملُ مُتقنًا وخاضعًا لاشتراطاتِ البحث العِلميّ الرّصين، محكومًا بقواعدِه وأصولِه.

٨- تباينتْ عنايةُ الباحثين في موضوع التَّفسيرِ العِلميّ، فبعضُهم خصَّه بكتابٍ كامل، وبعضُهم خصَّه بفصلٍ أو جزءٍ مِن كتاب، وبعضهم مرَّ عليه بدون تعمّقٍ أو تفصيل.

٩- سادَ في المُدَّةِ الأخيرة مُصطلحُ الإعجاز، وهيمَنَ على مُصطلَح التَّفسير، وصار البحثُ في موضوعاته ومسائلِه أكثرَ انضباطًا، وبعضُها يتمُّ تحت إشرافِ مؤسَّساتٍ وهيئاتٍ اختصَّت بهذا الشَّأن؛ مثل الهيأة العالَميَّة للإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة، والمجلسِ الأعلى للشّؤونِ الإسلاميَّةِ التّابعِ لوزارةِ الأوقافِ في مِصر، وغيرهما مِن المؤسَّسات. كما شهدَت هذه المُدَّة اشتغالِ العُلماءِ المُختَّصين بالعلومِ الطَّبيعيَّة في مجال التَّفسير، سواءٌ بجهودٍ فرديَّة، أو في فريقٍ بحثيٍّ برعايةِ مؤسَّسةٍ مِن المؤسَّساتِ الّتي تُعنى بمسألة الإعجاز العِلمي في القرآن، أو بمنهج التَّفسيرِ العِلميّ له.

قائمة المصادر

- **القرآن الكريم**

أوّلًا: الكُتُب:

١.اتجاهات التَّفسير في العصر الرّاهن: عبد المجيد المحتسب، مكتبة النَّهضة الإسلاميَّة، عمّان، الأردن، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٢.اتجاهات التَّفسير في القرن الرّابع عشر: د. فهد الرّومي، إدارة البحوث العِلميَّة والإفتاء، المملكة العربيَّة السّعوديَّة، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣.الاتجاهات المُنحرفة في تفسير القرآن الكريم- دوافعها ودفعها: د. محمد حسين الذَّهبيّ، دار الاعتصام، ط٢، ١٩٧٨م.

٤.الإتقان في علوم القرآن: جلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، المملكة العربيَّة السّعوديَّة، (د. ط)، (د. ت).

٥.إحياء علوم الدِّين: الإمام محمد الغزاليّ، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٦.الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: د. عبد الله عبد العزيز المُصلح، (بدون معلومات النَّشر)، ط٢، ٢٠٠٦م.

٧.الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم بين الأصالة والمُعاصَرة: وَهْبَة الزُّحَيليّ، دار المكتَبيّ للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمشق، سوريا، ط١،

٨.الإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة- حُجَّةٌ وبُرهان: عبد الله المُصلح، دار جياد للنَّشر والتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السّعوديَّة، ط١،

٩.الإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة وصلتُه بمنهج الدَّعوة الإسلاميَّة: د. نادى درويش مُحَمَّد، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

١٠.إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرَّبّانيّ: د. صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، دار عمار للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م.

١١.إعجاز القرآن الكريم: فضل حسن عبّاس، دار النَّفائس، عمّان، الأردن، ط٧، ١٤٢٩هـ.

١٢.أنبياء سومريّون- كيف تحوَّلَ عشرةُ ملوك سومريّين إلى عشرة أنبياء توراتيّين؟: د. خزعل الماجديّ، المركز الثَّقافيّ للكتاب للنَّشر والتَّوزيع، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٨م.

١٣.البرهان في علوم القرآن: بدر الدّين مُحَمَّد بن عبد الله الزَّركشيّ، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط١،
١٤.تأصيل الإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة: الشَّيخ عبد المجيد الزّنداني، المكتبة العَصريَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
١٥.التَّحرير والتَّنوير: مُحَمَّد الطّاهر بن مُحَمَّد بن عاشور، الدّار التّونسيَّة للنَّشر، تونس، (د. ط)، ١٩٨٤م.
١٦.تفسير البحر المُحيط: أبو حيّان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
١٧.تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأخيرة: محمود شلتوت، دار الشّروق، القاهرة، ط٣، ١٩٧٣م.
١٨.تفسير القرآن الكريم- جزء عمَّ: مُحَمَّد عبده، مطبعة مصر، ط٣، ١٣٤١هـ.
١٩.تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ.
٢٠.التَّفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيَّة في المدرسة القرآنيَّة: السَّيّد محمد باقر الصَّدر، تقديم وتنقيح وتعليق: جلال الدّين علي الصَّغير، الدّار العالَميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
٢١.التَّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن- ضوابط وتطبيقات: مرهف عبد الجبار سقا، دار مُحَمَّد الأمين للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
٢٢.التَّفسير والمُفَسِّرون: د. محمد حسين الذَّهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٢٣.التَّفكيرُ فريضةٌ إسلاميَّة: عبّاس محمود العقّاد، نهضة مصر للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط٦، ٢٠٠٧م.
٢٤.التَّوراة والإنجيل والقرآن والعِلم: موريس بوكاي، ترجمة: الشَّيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.
٢٥.جواهر القرآن: الإمام محمد الغزاليّ، دار المركز العربيّ للكتاب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
٢٦.الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات: طنطاوي جوهريّ: مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، ط٢، ١٣٥٠هـ.
٢٧.الدُّر المنثور: جلال الدّين السّيوطيّ، دار الأنوار المُحمَّديَّة، (د. ط)، (د. ت).
٢٨.دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرّوميّ، الرّياض، ط١٤، ٢٠٠٥م.
٢٩.الذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: د. محمد كامل حسين: مكتبة النَّهضة المصريَّة، (د. ط)، (د. ت).
٣٠.السَّماءُ في القرآن الكريم: زغلول النَّجّار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٣١.العِلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التَّوراة والإنجيل: د. سامي عامريّ، دار رواسخ، الكويت، ط٤، ٢٠٢١م، ص:٤٥.
٣٢.الفتاوى: محمود شلتوت، دار القلم، مصر، ط٢، (د. ت).
٣٣.فتح القدير: الشَّوكانيّ: دار ابن كثير، دمشق، (د. ط)، ١٤١٤هـ.
٣٤.الفرقان في بيان إعجاز القرآن: عبد الكريم بن صالح الحميد: الرّياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص:٤.
٣٥.فكرة إعجاز القرآن مِن البعثة النَّبويَّة إلى عصرنا الحاضر: نعيم الحمصيّ، مؤسَّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م.
٣٦.في ظلال القرآن: سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م.
٣٧.القرآن والتَّفسير العصريّ- هذا بلاغٌ للنّاس: د. عائشة عبد الرَّحمن (بنت الشّاطئ)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.
٣٨.قصَّة التَّفسير: د. أحمد الشّرباصيّ، دار القلم، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٢م.
٣٩.الكاملُ في التّاريخ: ابن الأثير، مطبعة بولاق، مصر، ط١، ١٣٠٠هـ.
٤٠.كشف الأسرار النُّورانيَّةِ القرآنيَّة فيما يتعلَّقُ بالأجرامِ السَّماويَّةِ والأرضيَّة والحيوانات والنَّباتات والجواهر المَعدَنيَّة: مُحَمَّد بن أحمد الإسكندرانيّ، المطبعة الوَهبيَّة، ١٢٩٧هـ.
٤١.الكون والإعجاز العِلميّ للقرآن: منصور حسب النَّبي، دار الفكر العربيّ، (د. ط)، ١٤٠١، ص:٥.
٤٢.كيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاويّ، دار الشّروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
٤٣.لا يأتون بمثلِه: سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص:١٩٣- ١٩٤.
٤٤.لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٥.للهِ العِلم: د. بشير التّركيّ، الدّار التّونسيَّة للنَّشر والتّوزيع، تونس، ط١، ١٩٨٨م.
٤٦.ما دلَّ عليه القرآن مِمّا يُعضِّدُ الهيأة الجديدةَ القويمة البرهان: محمود شكري الآلوسيّ، تحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلاميّ، ط١،
٤٧.مَدخَل إلى دِراسَةِ الإعجازِ العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّةِ النَّبَويَّةِ المُطَهَّرة: زغلول راغب مُحَمَّد النَّجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
٤٨.مفاتيح الغيب (التَّفسير الكبير): الإمام الفخر الرّازيّ، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٤٩.مفردات ألفاظ القرآن: الرّاغب الأصفهانيّ، تحقيق، صفوان الدّاوديّ، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٠.مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، (د. ط)، ١٣٩٩هـ.
٥١.مِن آيات الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم: د. زغلول النّجار، مكتبة الشروق الدَّوليَّة، ط٣، ص:١/ ٣٥.
٥٢.مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: أمين الخوليّ، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.
٥٣.مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزّرقانيّ، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٥٤.منهج المدرسة العقليَّة الحديثة في التَّفسير: فهد الرّوميّ، مؤسَّسة الرِّسالة، الرّياض، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٥٥.الموافقات: إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفّان، الخُبَر – المملكة العربيَّة السّعوديَّة،
٥٦.نقد الفهم العصريّ للقرآن: د. عاطف أحمد، دار الطَّليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
٥٧.هدي القرآن الكريم إلى معرفةِ العَوالِمِ والتَّفكّر في الأكوان، الشَّيخ عبد الله سراج الدّين، دار الفلاح، حلب، ط١، ١٩٩١م.
٥٨.وجوه التَّحدي والإعجاز في الأحرف المُقطَّعة في أوائل السُّوَر: فهد الرّوميّ، مكتبة التَّوبة، ط١، ١٩٩٧م.

ثانيًا: المجلّات:

١. تفسير القرآن الكريم في كتابات المُستشرقين، د. عبد الرّزاق إسماعيل هرماس، مجلّة البحوث الإسلاميَّة، العدد٦٧.
٢. منهج الاستدلال بالمكتشفات العِلميَّة على النّبوّةِ والرّبوبيَّة: سعود العريفيّ، مجلّة جامعة أم القرى للعلوم الشَّرعيَّة واللّغة العربيَّة وآدابها، المجلّد ١٩، العدد٤٣، ١٤٢٨هـ.

ثالثًا: المواقع الألكترونيَّة:

١. موقع هيأة الإعجاز العِلميّ: (www.aleijaz. net).

هوامش البحث

(١) يُنظر: التَّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن– ضوابط وتطبيقات: ، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م، ص:١/٩١.
(٢) يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ص:٥/٥٥.
(٣) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: الرّاغب الأصفهانيّ، تحقيق، صفوان الدّاوديّ، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ص: ٣٨٧. والبرهان في علوم القرآن: بدر الدّين مُحَمَّد بن عبد الله الزَّركشيّ، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ، ط١، ١٣٧٦هـ، ص:٢/ ٢٨٤.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ص:١/ ١٣.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، (د. ط)، (د. ت)، ص:٢/ ٧٤.
(٦) تفسير البحر المُحيط: أبو حيّان الأندلسي، ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص:١/ ١٢١.
(٧) يُنظر: التَّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم– ضوابط وتطبيقات: ص:٥٣– ٥٦.
(٨) مِن آيات الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم: د. زغلول النّجار، مكتبة الشروق الدَّوليَّة، ط٣، ص:١/ ٣٥.
(٩) اتجاهات التَّفسير في القرن الرّابع عشر: د. فهد الرّومي، إدارة البحوث العلميَّة والإفتاء في السّعوديَّة، ط١، ١٤٠٧هـ، ص:٢/ ٥٤٩.
(١٠) تأصيل الإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة: الشَّيخ عبد المجيد الزّنداني، المكتبة العَصريَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص:٢٤.
(١١) يُنظر: مقاييس اللّغة : أحمد بن فارس، ، (د. ط)، ١٣٩٩هـ، ص:٣/ ٢٣٢، ولسان العرب: ص:٥/ ٣٧٠.
(١٢) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدّين السّيوطيّ، ص:٤/ ٣.
(١٣) يُنظر: التَّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم– ضوابط وتطبيقات: ص:٨٨– ٩١.

(١٤) تأصيل الإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة: ص:١٤.

(١٥) السَّماءُ في القرآن الكريم: زغلول النَّجّار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ص:٧٢.

(١٦) تأصيل الإعجاز العلميّ في القرآن والسَّنّة: ص:٢٤.

(١٧) المصدر نفسه: ص:١٤.

(١٨) الإتقان في علوم القرآن: ص:٤/ ٣٣.

(١٩) فكرة إعجاز القرآن مِن البعثة النَّبويَّة إلى عصرنا الحاضر: نعيم الحمصيّ، مؤسَّسة الرّسالة، ، ط٢، ١٩٨٠م، ص:٢١٦- ٢١٧.

(٢٠) يُنظر: الموافقات: إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفّان، الخُبَر- المملكة العربيَّة السّعوديَّة، ط١، ١٩٩٧م، ص:٢/ ١٢٧.

(٢١) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٢/ ١٣٦.

(٢٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٢/ ١٤١.

(٢٣) يُنظر: الموافقات: ص:٢/ ١٢٨.

(٢٤) المصدر نفسه: ص:٢/ ١٢٧.

(٢٥) المصدر نفسه: ص:٢/ ١٢٧.

(٢٦) المصدر نفسه: ص:٢/ ١٢٨- ١٢٩.

(٢٧) الذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: د. محمد كامل حسين: مكتبة النَّهضة المصريَّة، (د. ط)، (د. ت)، ص:١٨٣.

(٢٨) المصدر نفسه:١٨٦.

(٢٩) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٥.

(٣٠) يُنظر على سبيل المثال: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: أمين الخوليّ، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦١م. والقرآن والتَّفسير العصريّ- هذا بلاغٌ للنّاس: د. عائشة عبد الرَّحمن (بنت الشّاطئ)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م. وفي ظلال القرآن: سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م. والتَّفسير والمُفَسِّرون، الجزء الثّالث، د. محمد حسين الذَّهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت). وكيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاويّ، دار الشّروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

(٣١) يُنظر على سبيل المثال: قصَّة التَّفسير: د. أحمد الشّرباصيّ، دار القلم، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٢م. والفتاوى: محمود شلتوت، دار القلم، مصر، ط٢، (د. ت). وتفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأخيرة: محمود شلتوت، دار الشّروق، القاهرة، ط٣، ١٩٧٣م. والتَّفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيَّة في المدرسة القرآنيَّة الدّار العالَميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

(٣٢) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٤- ٢٩٥.

(٣٣) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٢٩٣. وتبعه في هذا الرَّأي الدّكتور محمد حسين الذّهبي، وساق حجَجَه بنصِّها مِن دون أنْ يُشيرَ إليه. يُنظر: التَّفسير والمُفَسِّرون: ص:٣/ ١٥٧.

(٣٤) يُنظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ، ص:١/٧. والقرآن والتَّفسير العصريّ- هذا بلاغٌ للنّاس: ص:٨٥. ومناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزّرقانيّ، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص:٢/٢٥٢- ٢٥٣. وفي ظلال القرآن: ص:١٨٢.

(٣٥) يُنظر: القرآن والتَّفسير العصريّ- هذا بلاغٌ للنّاس: ص:٨٥.

(٣٦) يُنظر: في ظلال القرآن: ص:١٨٣.

(٣٧) يُنظر على سبيل المثال: تفسير المنار: في المواضع: (٧/٦٣٧. و٨/٤٨١. و١٢/١٩. و١٢/٢١). ومناهل العرفان في علوم القرآن: في المواضع: (١/١٨. و١/١٩). وفي ظلال القرآن: في المواضع: (٢/١١٦١، و٤/٢١٣٤، و٤/٢٢٩٣، و٤/٢٤٤٤، و٥/٢٧٦٥، و٥/٢٩٦٨، و٥/٢٩٦٩، و٥/ ٣٠٣٨، و٦/ ٣٤٣٧، و٦/٣٢٦٢، و٦/٣٤٤٧، و٦/٣٦٣٧).

(٣٨): ص:٢/١٢٧. والقرآن والتَّفسير العصريّ- هذا بلاغٌ للنّاس: ص:٦- ٧. والذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: ص:٥٩.

(٣٩) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٣.

(٤٠) يُنظر: التَّفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيَّة في المدرسة القرآنيَّة: ص:٣٦.

(٤١) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٥.

(٤٢) يُنظر: الذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: ص:١٨٣. مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٥.

(٤٣) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٥. والذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: ص:١٨٦. وفي ظلال القرآن: ص:١٨٢. واتجاهات التَّفسير في العصر الرّاهن: ص:٣٠٦.

(٤٤) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٤- ٢٩٥. وقصَّة التَّفسير: ص:١٢٥. وتفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأخيرة: ص:١١- ١٤. وفي ظلال القرآن: ص:١٨١- ١٨٢. والتَّفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيَّة في المدرسة القرآنيَّة: ص:٤٠ -٤١. واتجاهات التَّفسير في العصر الرّاهن: ص: ٣١٤.

(٤٥) يُنظر: قصَّة التَّفسير: ص:١٢٥. وتفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأخيرة: ص:١١- ١٤. وفي ظلال القرآن: ص:١٨٢.

(٤٦) يُنظر: الذِّكر الحكيم مِن وجهة نظر عصريَّة: ص:٥٩.

(٤٧) يُنظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن: عبد الكريم بن صالح الحميد: الرّياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص:٤.

(٤٨) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٣. وإعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرَّبّانيّ: د. صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، دار عمار للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م، ص:٦، ٥٨. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:٤٨- ٤٩.

(٤٩) يُنظر: الإعجاز العِلميّ إلى أين: ص: ٤٥.

(٥٠) يُنظر: إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرَّبّانيّ: ص:٦. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:٤٣- ٤٤، ٤٦، ٤٨.

(٥١) يُنظر: الموافقات: ص:١٢٨/٢- ١٢٩. وفي ظلال القرآن: ص:١٨٢. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:٤٦- ٤٧.

(٥٢) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ص:٢٩٣.

(٥٣) إحياء علوم الدِّين: الإمام محمد الغزاليّ، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص:١/ ٢٨٩.

(٥٤) جواهر القرآن: الإمام محمد الغزاليّ، دار المركز العربيّ للكتاب، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص:٢٥.

(٥٥) جواهر القرآن: ص:٢٥- ٢٦.

(٥٦) مفاتيح الغيب (التَّفسير الكبير): الإمام الفخر الرّازيّ، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص:٥٠/٢٠.

(٥٧) الإتقان في علوم القرآن: ص:٤/ ٣٣.

(٥٨) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن: ص:٤/ ٢٦- ٣١.

(٥٩) ما دلَّ عليه القرآن مِمّا يُعضِّدُ الهيأة الجديدةَ القويمة البرهان: محمود شكري الآلوسيّ، ، ط١، ١٩٦٠م، ص:٣.

(٦٠) يُنظر: كشف الأسرار النُّورانيَّةِ القرآنيَّة فيما يتعلَّقُ بالأجرامِ السَّماويَّةِ والأرضيَّة والحيوانات والنَّباتات والجواهر المَعدَنيَّة: مُحَمَّد بن أحمد الإسكندرانيّ، المطبعة الوَهبيَّة، ١٢٩٧هـ، ص:١/٣.

(٦١) يُنظر: منهج المدرسة العقليَّة الحديثة في التَّفسير: فهد الرّوميّ، مؤسَّسة الرِّسالة، الرّياض، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص:٨٦- ٨٧.

(٦٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٨٨-٨٩.

(٦٣) يُنظر: تفسير القرآن الكريم- جزء عمَّ: مُحَمَّد عبده، مطبعة مصر، ط٣، ١٣٤١هـ، ص:١٥٧، ١٥٨.

(٦٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص:١٥٦.

(٦٥) الكاملُ في التّاريخ: ابن الأثير، مطبعة بولاق، مصر، ط١، ١٣٠٠هـ، ص:٩٩/١.

(٦٦) يُنظر: تفسير القرآن الكريم- جزء عمَّ: ص:٢٦- ٢٧.

(٦٧) الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ البابي الحلبيّ، ط٢، ١٣٥٠هـ، ص:١٩/٣.

(٦٨) المصدر نفسه: ص:١٩/٣- ٢٠.

(٦٩) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٤٢/٢٥.

(٧٠) الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات: ص:٥٥/٢٥- ٥٦.

(٧١) يُنظر: المصدر نفسه: ص:٢٥٥/٢٥- ٢٥٧.

(٧٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص:١/٧٨.

(٧٣) المصدر نفسه: ص:٢/١٧٢. وتُنظر هذه التَّفصيلات في: ص:٢/١٥١- ١٧٧.

(٧٤) يُنظر مثلًا: المصدر نفسه: ص:٢٥/٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧١. وهي موجودة في سائر أجزاء تفسيره.

(٧٥) يُنظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات: ص:١/٨٤.

(٧٦) يُنظر: المصدر نفسه: ص:١/٥.

(٧٧) يُنظر: اتجاهات التَّفسير في القرن الرّابع عشر: ص:٢/٦٧٧. - دوافعها ودفعها: دار الاعتصام، ط٢، ١٩٧٨م، ص: ٩٥.

(٧٨) يُنظر: التَّفسير والمُفَسِّرون: ص:٢/٣٧٢.

(٧٩) يُنظر: الإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٩. والتَّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:٧٠.

(٨٠) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير: مُحَمَّد الطّاهر بن مُحَمَّد بن عاشور، الدّار التّونسيَّة للنَّشر، تونس، (د. ط)، ١٩٨٤م، ص:١/١٢٩. وفكرة إعجاز القرآن مِن البعثة النَّبويَّة إلى عصرنا الحاضر: ص:٢٤. وإعجاز القرآن الكريم: ، ط٧، ١٤٢٩هـ، ص:٣١.

(٨١) يُنظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات: ص:٣/١٩. واتجاهات التَّفسير في القرن الرّابع عشر: ص:٢/٥٧٤. والكون والإعجاز العِلميّ للقرآن: منصور حسب النَّبي، دار الفكر العربيّ، (د. ط)، ١٤٠١، ص:٥.

(٨٢) يُنظر: الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم بين الأصالة والمُعاصَرة: وَهْبَة الزُّحَيليّ، ، ط١، ١٤١٨هـ، ص:١٣.

(٨٣) يُنظر: حُجَّةٌ وبُرهان: عبد الله المُصلح، دار جياد للنَّشر والتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السّعوديَّة، ط١، ١٤٣٢هـ، ص:٥٤.

(٨٤) يُنظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المُشتَمِل على عجائبِ بدائعِ المَكنوناتِ وغرائبِ الآياتِ الباهرات: ص:٣/١٩.

(٨٥) يُنظر: العِلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التَّوراة والإنجيل: د. سامي عامريّ، دار رواسخ، الكويت، ط٤، ٢٠٢١م، ص:٤٥.

(٨٦) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير: ص:ذ/١٢٧. والتَّوراة والإنجيل والقرآن والعِلم: موريس بوكاي، ترجمة: الشَّيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م، ص:١٣. والقرآن والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:٥٧. ومنهج الاستدلال بالمكتشفات العِلميَّة على النّبوّةِ والرّبوبيَّة: سعود العريفيّ، مجلّة جامعة أم القرى للعلوم الشَّرعيَّة واللّغة العربيَّة وآدابها، المجلّد ١٩، العدد٤٣، ١٤٢٨هـ، ص:٦.

(٨٧) يُنظر: الإعجاز العِلميّ: د. نادى درويش مُحَمَّد، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص:١٧- ١٨.

(٨٨) يُنظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرّوميّ، الرّياض، ط١٤، ٢٠٠٥م، ص:٣١٦.

(٨٩) يُنظر: البيان في إعجاز القرآن: ص:٢٦٣.

(٩٠) يُنظر: إعجاز القرآن والبلاغة النَّبويَّة: ص:٩٠.

(٩١) يُنظر: مَدخَل إلى دِراسَةِ الإعجازِ العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّةِ النَّبَويَّةِ المُطَهَّرة: زغلول راغب مُحَمَّد النَّجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م، ص:١٥٦. الإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة- حُجَّةٌ وبُرهان: ص:٢٤.

(٩٢) الدُّر المنثور: جلال الدّين السّيوطيّ، ، (د. ط)، (د. ت)، ص:٦/ ٦٣٠. ولمزيدٍ مِن الأمثلة يُنظر: هدي القرآن الكريم إلى معرفةِ العَوالِم والتَّفكّر في الأكوان، الشَّيخ عبد الله سراج الدّين، دار الفلاح، حلب، ط١، ١٩٩١م، ففيه الكثير مِن التَّفسيرات عن هذا الموضوع.

(٩٣) الإتقان في علوم القرآن: ص:٢/ ٢٢٦.

(٩٤) يُنظر: قواعد وأسس أبحاث الإعجاز العِلميّ في موقع هيأة الإعجاز العِلميّ: (www.aleijaz. net).

(٩٥) التَّفكيرُ فريضةٌ إسلاميَّة: عبّاس محمود العقّاد، نهضة مصر للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط٦، ٢٠٠٧م، ص:٣.

(٩٦) يُنظر: لله العِلم: د. بشير التّركيّ، الدّار التّونسيَّة للنَّشر والتّوزيع، تونس، ط١، ١٩٨٨م، ص:٨٢- ٨٣.

(٩٧) يُنظر: التَّوراة والإنجيل والقرآن: ص:٢٠١، ٢١٩، ٢٣٨- ٢٤٥.

(٩٨) فتح القدير: الشَّوكانيّ: دار ابن كثير، دمشق، (د. ط)، ١٤١٤هـ، ص:٤/٥٩٩.

(٩٩) لقد أحسن الدّكتور فضل حسن عبّاس الرّد على هذا الاعتراض، وأثبتَ في دراسةٍ قيّمة أنَّ آيات التّحدّي مرَّت بأربعِ مراحل، الثَّلاثُ الأوْلى مِنها مَكيَّة خوطِبَ بها العربُ وحدهم، فكان التَّحدّي فيها بيانيًّا. أمّا المرحلة الرّابعة فكانت مدنيَّة والخطابُ فيها لعمومِ النّاس؛ لذلك كان التَّحدّي فيها بالبيانِ وبغيرِهِ مِن وجوه الإعجاز. يُنظر: إعجاز القرآن: ص:٣١- ٣٢. ولمثل هذه النَّتيجة توصَّلَ الدّكتور نعيم الحمصيّ، يُنظر: فكرة إعجاز القرآن مِن البِعثةِ النَّبَويَّة إلى عصرنا الحاضر: ص:٢٤.

(١٠٠) لا يأتون بمثلِه: سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص:١٩٣- ١٩٤.

(١٠١) في مسألة تأثّر القرآن بالكتاب المُقدّس، يُنظر: تفسير القرآن الكريم في كتابات المُستشرقين، د. عبد الرّزاق إسماعيل هرماس، مجلّة البحوث الإسلاميَّة، العدد٦٧، ص: ٩٠- ٩٧. وقد تأثّر بهذا الادّعاء الكثير مِن الباحثين العرب، مِنهم على سبيل المثال: د.عاطف أحمد، في كتابه: نقد الفهم العصريّ للقرآن، دار الطّليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٢م. ود. خزعل الماجديّ، في كتابه: أنبياء سومريّون- كيف تحوَّلَ عشرةُ ملوك سومريّين إلى عشرة أنبياء توراتيّين؟: المركز الثّقافيّ للكتاب للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٨م.

(١٠٢) دراسات في علوم القرآن: ص:٢٩٥/١.

(١٠٣) العِلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التّوراة والإنجيل: ص:٤٤.

(١٠٤) التّحرير والتّنوير: ص:١٢٩/١.

(١٠٥) "هي إحدى هيئات رابطة العالَم الإسلاميّ ذات الشّخصيَّة المُستقِلّة، تأسّست عام (١٤٠٠هـ)، وكان اسمُها في بداية نشأتِها: (مؤسّسة الإعجاز العِلميّ)، وبقيت تتدرّج حتّى عام (١٤٢٣هـ)، حيث قرّرَ المجلسُ التّأسيسيّ لرابطةِ العالَمِ الإسلاميّ في دورتِه السّابعة والثّلاثين تطوير الهيأة، وأصبح مُسمّاها: (الهيأة العالَميَّة للإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة)، ووضعت الهيأةُ أهدافًا تعمَلُ لأجلِها، وقامت بإصدار كُتُب ودوريّات تهتم بالإعجاز العِلميّ في القرآن والسُّنَّة وتوزيعها على الرّاغبين والمُهتمّين في العالَم، وقد أصدرت مجلةً تحملُ عنوان: (الإعجاز العِلميّ)، وأقامَت النّدَوات الكثيرة والمُؤتَمَرات المُتَعَدِّدَة، ولها مِن الأعمال غير ذلك". التّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن- ضوابط وتطبيقات: ص:١٧٣- ١٧٤.

(١٠٦) التّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن- ضوابط وتطبيقات: ص:١٧٤- ١٧٥.

(١٠٧) الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: د. عبد الله عبد العزيز المُصلح، (بدون معلومات النّشر)، ط٢، ٢٠٠٦م، ص:٣٠.

(١٠٨) التّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٨١.

(١٠٩) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٦. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٥٣. والتّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٨٣- ١٨٨.

(١١٠) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٢. التّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٨٩- ١٩١. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٣١.

(١١١) يُنظر: التّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٩٣.

(١١٢) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٤. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٣٥. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٤٩. والتّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٩٩.

(١١٣) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣١، ٣٢. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٤٩. والتّفسير والإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات: ص:١٩٧.

(١١٤) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٢- ٣٣. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٣١. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٤٨.

(١١٥) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٣. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم ص:١٤٩.

(١١٦)- تاريخه وضوابطه: ص:٣١. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٥٠- ١٥١.

(١١٧) يُنظر: الإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٤١. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٥١.

(١١٨) يُنظر: الإعجاز العِلميّ إلى أين: ص:١٣٣.

(١١٩) يُنظر: - تاريخه وضوابطه: ص:٣٤. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٥٠.

(١٢٠) يُنظر: مدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٤٩.

(١٢١) يُنظر: الإعجاز العِلميّ- تاريخه وضوابطه: ص:٣٤. والإعجاز العِلميّ إلى أين: ص١٣٩. ومدخل إلى دراسة الإعجاز العِلميّ في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة المُطَهَّرَة: ص:١٥٢.